الأمير السعيد

obeikandl.com

أوسكار وايلد

دار المحرر الأدبي

أوسكار وايلد

مؤلف وكاتب مسرحي ومفكر بريطاني كان يوصي بأهمية الأسلوب في الحياة والفن معًا، ويهاجم التفكير ضيق الأفق، والرضا الذاتي للعصر الفكتوري.

وُلد وايلد في دبلن بأيرلندا. وكان اسمه الكامل أوسكار فينغال أوفلاهيرتي ولز وايلد. غادر وايلد أيرلندا في سن العشرين؛ للدراسة في جامعة أكسفورد، حيث تميَّز بوصفه طالب علم ومفكراً. وأصبح بعد فترة وجيزة شخصية عامة معروفة جداً، بَيْدَ أن فترة إنجازه لم تبدأ إلا بعد نشره الأمير السعيد وحكايات أخرى في عام ١٨٨٨م. وقد اكتشف وايلد في حكايات الساحرات والخرافات تلك، الشكل الأدبي الملائم لمواهبه.

كتب وايلد رواية واحدة فقط، هي رواية صورة دوريان غراي التي نُشرت عام ١٨٩٠م. وهي حكاية خرافية أخلاقية مسهبة، تصف رجلاً تشيخ وتقبح صورته، انعكاسًا لفساده الأخلاقي، بينما يبقى مظهره الفعلي على حاله . ويبدو أن الكتاب يُظهر الجانب المدمر لتكريس الذات للمتعة والجمال، المماثل لتكريس وايلد.

تُعَدُّ مسرحيات وايلد في مجموعها أهم أعماله. وتجمع مسرحياته مروحة الليدي وندرمير (١٨٩٢م)؛ امرأة غير ذات أهمية (١٨٩٣م)؛ الزوج المثالي (١٨٩٥م)، مسرح الخداع الاجتماعي الحديث السائد آنذاك، مع الهزلية الجدّية الفكهة. ويجمع وايلد في كل مسرحية شابًا مثاليًا متعصبًا معَ شخص ارتكب خطيئة اجتماعية في الماضي، ويتقابلان في مجتمع تُعَدُّ فيه المظاهر كل شيء . وكانت النتيجة دومًا هي توعية المثاليين بنقاط ضعفهم، وإظهار الحاجة إلى التسامح والصفح.

حاد وايلد في رائعته أهمية الجديَّة (١٨٩٥م) عن معادلته القياسية، بجمعه الكوميديا الجدية مع الهزلية . ومن حيث الفكرة الرئيسية، فإنه قام بتوحيد اهتمامه الخاص بالأسلوب، باهتمام المجتمع بالمظاهر. وسخر في المسرحية من النفاق الاجتماعي، ومن المفهوم التطهري للجدية والإخلاص. وكانت النتيجة قصصًا خيالية ساخرة عن مظاهر تُعامل فيها الأمور التافهة ظاهريا كالاسم بجدية مبالغ فيها. كما كتب وايلد بالفرنسية مسرحية سالومي، وهي مأساة من فصل واحد، نشرت عام ١٨٩٣م.

وفي عام ١٨٩٥م، كان وايلد في ذروة نجاحه في الوقت الذي كانت تعرض فيه ثلاث من مسرحياته الناجحة.

تُوفي وايلد في فرنسا بعد أن ظل ثلاث سنوات معتل الصحة، مفلسًا، ومفتقرًا للطاقة الإبداعية.

الصديق الصدوق

في صباح أحد الأيام أطل من جحره فأر ماء عجوز، ذو عينين لامعتين كالخرز، وشارب خشن أسمر، ذنب كأنه قطعة طويلة من المطاط الأسود، وكان يسبح حوله في الغدير أفراخ من البط ومعهم أمهم البيضاء الناصعة ذات السيقان الحمراء تعلمهم كيف يقفون في الماء على رؤوسهم، وتقول لهم من حين إلى حين (لا يمكن أن تعيشوا في جمعية راقية وانتم غير قادرين أن تقفوا في الماء على رؤوسكم.) ثم تريهم كيف يكون ذلك؛ ولكن الأفراخ لم يصغوا إليها، لقد كانوا صغاراً لا يدركون فائدة الحياة في الجمعية.

صاح فأر الماء العجوز ـ ما أعقهم من أولاد، أنهم ليستحقون الموت غرقا.

أجابت البطة ـ ليس الأمر كذلك، إن لكل امرئ بداية. . وإن الآباء ليصبرون طويلا.

فأر الماء ـ آه. . أنا لا أعلم شيئاً عن عواطف الآباء، إنني لست رجل أسرة، فلم لم أتزوج ولم أفكر قط في الزواج. الحب جميل إجمالا، ولكن الصداقة أسمى بكثير. في الحق أني لا أعرف ما هو أشراف ولا أندر من الصديق الصدوق.

سأل الطائر الصغير الملقب بالتفيفحة، وكان جالساً على شجرة الصفصاف وقد سمع المحادثة (ولكن بالله عليك قل لي ما رأيك فيما يجب أن يكون عليه الصديق الصدوق؟)

البطة ـ نعم هذا ما أردت أن أعرفه ـ وسبحت إلى نهاية الغدير ووقفت على رأسها.

صاح فأر الماء ـ ما أسخفه من سؤال! إني أريد من صديقي الصدوق أن يضر نفسه لينفعني.

قال العصفور الصغير وهو يطير فوق عسلوج ذهبي ويصفق بجناحيه الرقيقين (وماذا تفعل أنت مقابل ذلك؟)

أجاب فأر الماء ـ لا أفهم ما تعني.

العصفور ـ دعني أقص عليك حكاية في هذا الموضوع.

فأر الماء ـ وهل يدور حولي محور هذه القصة ـ إذا كان كذلك فأنا أصغي إليك لأني جد مولع بالقصص الخيالية.

العصفور ـ إنها تناسبك، وطار هابطا وحط على الشاطئ وأخذ يقص حكاية الصديق الصدوق.

الطائر الصغير ـ كان يعيش في أحد الأزمنة شاب نبيل يدعى (هانس)

فأر الماء ـ هل كان مشهوراً.؟

الطائر ـ كلا ما أظن أنه كان مشهوراً، اللهم إلا بقلبه الرحيم ووجهه الضحوك البشوش المستدير، لقد عاش في

كوخه الحقير وحيدا وكان يشتغل كل يوم في حديقته التي لم يكن في القرية حديقة تدانيها في الجمال، فيها كان ينمو الزهر المنثور والورد الأحمر والورد الأبيض والأصفر والزعفران الليلكي والذهبي والبنفسج الأرجواني والريحان والياسمين وهكذا كنت تجد دائماً في الحديقة ما يقر العين وينعش الفؤاد.

وكان (لهانس) الصغير أصدقاء كثيرون، ولكن (هيو) الطحان الضخم الغني كان أكثر هؤلاء الأصدقاء وفاء وتضحية وقد بلغ من وفائه (لهانس الصغير) أنه لم يكن يمر بحديقته دون أن يعطف على الحائط ويقطف باقة أزهار كبيرة أو يجمع حزمة من الحشيش النظيف، وإذا كان الفصل فصل الأثمار ملأ جيوبه بالبرقوق والكرز.

وكان الطحان يقول: يجب أن ترتفع الكلفة من بين الأصدقاء الأوفياء، فيؤمن هانس الشاب على أقواله

ويبتسم ويأخذه العجب كلما فكر أن له صديقا يحمل مثل هذه الأفكار النبيلة .

وكان الجيران أحياناً يتساءلون مستغربين : كيف أن الطحان الغني لا يعطي هانس شيئاً مقابل ما يأخذه منه في حين أن لديه مئات من أكياس الدقيق مخزونة في مطحنته وعنده ست بقرات حلوب ، وقطيع كبير من الغنم المكسو بالصوف ، ولكن (هانس) لم يزعج نفسه بمثل هذه الافكار ، ولم يكن ليسره شيء بقدر ما كان يسره أن يصغي إلى الأقوال الغريبة التي كان يذكرها له الطحان عن تضحيات الصديق الصدوق .

وكان هانس الصغير يشتغل في حديقته ويعيش جد سعيد خلال أيام الربيع والصيف والخريف ، ولكن حين يأتي الشتاء وليس لديه ما يبيعه من أثمار وأزهار كان المسكين يتألم كثيراً من البرد والجوع ، وكثيراً ما كان يذهب إلى فراشه دون أن يتناول شيئاً من الطعام اللهم إلا

قليلاً من التين الجاف أو شيئاً من الجوز اليابس، وفي الشتاء أيضاً كان دائم الوحدة لان الطحان لم يكن يأتي ليراه في ذلك الفصل أبداً.

ـ ليس من الخير أن أذهب وأرى (هانس الصغير) (والثلج لا يزال على الأبواب) هذا ما كان يقوله الطحان لزوجه حين يكون الناس في اضطراب، علينا أن ندعهم فلا نزعجهم بزياراتنا هذا رأيي في الصداقة، واكبر ظني إني على صواب، لذلك فأنا سأنتظر قدوم الربيع وعندئذ أذهب لزيارته، وسيكون عندئذ قادراً على أن يقدم لي سلة كبيرة من أزهار الربيع!

أجابت الزوجة وهي ترتمي على المقعد الكبير إلى جانب النار ـ في الحق أنك كثير الاهتمام بغيرك، إنه ليسرني أن أسمعك تتكلم عن الصداقة دائماً. . إنني على يقين أن رجل الدين نفسه لا يتكلم بمثل كلامك الممتلئ علماً وحكمة.

قال أصغر أولاد الطحان ـ ولكن لا نطلب (لهانس الصغير) أن يصعد إلينا ـ إذا كان هانس الصغير في ضيق فأنا سأقدم له نصف ما عندي من ثريد، وأريه أرنبي الصغير.

صاح الطحان ـ يالك من ولد غبي. حقاً إني لا أعلم ما فائدة إرسالك للمدرسة، يظهر انك لا تتعلم شيئاً؛ لماذا؟ إذا أتى هانس الصغير إلى هنا ورأى نارنا الموقدة وطعامنا اللذيذ ودننا الكبير الطافح بالنبيذ الأحمر عندها يأخذه الحسد، والحسد هو أفظع خلة يمكن أن تشوه طبيعة الإنسان، أنا خير أصدقائه وسوف أظل أرعاه بعنايتي وأحول دون دخوله في أية تجربة، وبالإضافة إلى ذلك فان هانس إذا جاء إلى هنا فقد يطلب مني أن أقرضه قليلا من الدقيق، وهذا ما لا أستطيعه، الدقيق شيء والصداقة شيء آخر ولن يجتمعا. لماذا! لأن الكلمتين تختلفان في

التهجية ولكل منهما معنى خاص. كل إنسان يوافقني على ذلك. .

قالت الزوجة وهي تملأ كأسها بالجعة الدافئة: إن ما تقوله هو عين الصواب. .

أجاب الطحان ـ يحسن بعض الناس التمثيل، ولكن قل من يجيد منهم الكلام، وهذا يعني إن الكلام أصعب من التمثيل وهو كذلك أجمل بكثير. ثم نظر بجفاء إلى ولده الصغير الذي جلس إلى المائدة منكمشاً مطرقاً برأسه، خجلا من نفسه.

سأل فأر الماء العجوز ـ أهذا ختام القصة؟

أجاب العصفور ـ طبعاً لا. هذا أولها. . .

فأر الماء ـ أنت إذن من الرواة القدماء، إن الرواية البارعة في هذه الأيام يبدأ روايته من نهايتها ثم يسير بالسامعين إلى بدايتها، تلك هي الطريقة الحديثة، لقد سمعتها من فم ناقد كان يسير منذ يوم برفقة شاب حول

البركة، لقد تكلم بحماس جعلني أوقن بأنه على صواب خصوصاً وقد كان أصلع الرأس يضع على عينيه منظارين أزرقين. ولكن أرجوك أن تستمر في قصتك.

قال العصفور وهو يقفز حيناً على إحدى ساقيه وحيناً على الأخرى: وكان الطحان عندما ينتهي الشتاء وتبدأ أزهار الربيع تتفتح عن أكمامها الباهتة الصفراء يقول لزوجته بأنه ذاهب ليرى هانس الصغير.

صاحت زوجته ـ ماذا! ما أطيب قلبك! انك دائم التفكير في الآخرين. هل أذكرك أن تأخذ السلة معك لتملأها بالأزهار.

وهكذا ربط الطحان شراع الطاحونة وهبط التل وبيده السلة.

الطحان ـ صباح الخير، هانس الصغير.

قال هانس وهو متكئ على معوله ضاحكاً مل شدقيه: صباح الخير.

الطحان ـ كيف أمضيت أيام الشتاء؟

هانس ـ بخير انه لكرم منك أن تسأل عني، كانت أياماً شديدة، ولكن ها قد أتى الربيع وأنا سعيد حقاً وأزهاري أخذت تتفتح.

الطحان ـ طالما تحدثنا عنك أيام الشتاء وتساءلنا كيف يكون حالك؟

هانس ـ هذا لطف منك، لقد كدت أظن وبعض الظن إثم انك نسيتني!

الطحان ـ هانس إني معجب بك. الصداقة لا تنسى أبداً وهذا هو سرها العجيب. . كم تبدو زهورك جميلة!!

هانس ـ حقا إنها لها منظراً بديعاً ومن حسن حظي أن لدي كثيراً منها، سأحملها إلى السوق وأبيعها إلى ابنة شيخ القرية وأبتاع بثمنها عربة يد.

الطحان ـ تبتاع عربة يد! ما أحسبك تعني أنك قد بعت عربتك، انه يكون إذن تصرفاً منك خاطئاً. .

هانس ـ هذا هو الواقع الذي أكرهت عليه . انك تعلم أن الشتاء كان على جد صعب ، وإني لا أملك ما ابتاع به خبزاً ، فاضطررت بادئ الأمر أن أبيع أزرار بذلتي يوم الأحد ، ثم بعت سلسلتي الفضية فغليوني الكبير ، وأخيراً بعت عربتي ولكنني مصمم أن أعود فأشتري هذه الأشياء كلها .

الطحان ـ هانس . سأقدم لك عربتي . صحيح إنها بحاجة إلى إصلاح ، وقد ذهب أحد جانبيها وفي دولابها عطل بسيط . ولكن سأقدمها لك على رغم ذلك ، فأنا أعلم أن هذا كرم عظيم مني ، وان كثيرين من الناس سيظنون بي الغباوة لتفريطي في العربة ، ولكني لست كباقي الناس ، أنا أرى في مثل هذا الكرم روح الصداقة .

هانس الصغير ـ حسناً حقاً انه لكرم منك وطفح وجهه الضحوك المستدير سروراً . . إنني أصلحها بسهولة لان عندي لوح من خشب .

الطحان ـ لوح من خشب أنا بحاجة إليه لان في سقف مخزن لحاصلات ثقباً كبيراً. انه لمن حسن الحظ انك نوهت لي بهذا اللوح الخشبي، عجيب حقاً، كيف ان العمل الصالح يلد دائماً عملا صالحاً لقد أعطيتك عربتي، والآن فانك تقدم إلي لوحك. نعم إن العربة أثمن بكثير من لوح الخشب ولكن الصداقة الحق لا تهتم بمثل ذلك، أرجو أن تحضره حالا.

هانس ـ بالتأكيد. وجرى إلى السقيفة وأخرج اللوح.

قال الطحان وهو ينظر إلى اللوح ـ انه ليس كبيرا جداً، إني لأخشى أن لا يبقى منه شيء لتصلح به العربة بعد أن أسقف مخزني ولكن ذلك ليس خطأي، والآن وقد قدمت لك عربتي الصغيرة، فأني متأكد بأنك ستقدم لي زهوراً مقابل ذلك. هذه هي السلة وإني أذكرك أن تملأها جيداً

قال هانس الصغير متألما ـ أملأها جيداً. . ! (لان السلة كانت كبيرة جداً، وقد أردك انه أن ملأها فسوف لا يبقى

لديه ما يأخذه إلى السوق، بينما هو يرغب أن يعيد أزراره الفضية)

أجاب الطحان ـ ما كنت أظن بعد أن أعطيتك العربة انه كثير على أن أسألك قليلا من الزهور. قد أكون مخطئاً ولكني اعتقد إن الصداقة، الصداقة الحق يجب أن تبتعد عن كل أنانية.

صاح هانس الصغير ـ يا صديقي العزيز، يا أخلص صديق. لك الأمر على كل ما في حديقتي من أزهار، أني لأرغب في أفكارك السديدة أكثر من أزراري الفضية، وجرى فقطف كل زهوره الجميلة وملأ بها سلة الطحان.

الطحان ـ وداعاً هانس الصغير وصعد التل ولوح الخشب على كتفه والسلة الكبيرة في يده.

هانس ـ مع السلامة.

في اليوم الثاني كان هانس ينصب العليق حينما سمع صوت الطحان يناديه من الطريق فقفز عن السلم، وجرى

إلى الحديقة وتطلع من أعلى الحائط لـرأى الطحـان وعلـى ظهره سلة كبيرة ملآنة بالزهور .

الطحان ـ عزيزي هانس الصـغير هـل تحمـل لـي هـذه السلة إلى السوق؟

هانس ـ إنني كثير الشغل اليوم . علـى أن أنصـب كـل العليق واسقي كل الزهور واحزم كل الكلأ .

الطحان ـ حسناً . أظن انه ليس من حسـن الصـداقة أن ترفض طلبي .

صاح هانس ـ آه لا تقل ذلك إنني لا أحـب أن أعـادي العالم أجمع ، ثم جرى فأحضر قبعتـه وسـار ينـوء بالسـلة الكبيرة .

لقد كان يوماً لافحاً ، وكان الطريق يعج بالغبار ، وقبل أن يصل هانس إلى الكيلـومتر السـادس كـان قـد بلـغ بـه التعب مبلغاً عظيماً وكان عليه أن يستريح ، ولكنـه اسـتمر يسير بشاعة إلى أن وصل السوق بعد ان انتظر قليلا استطاع

أن يبيع الأزهار بسعر جيد، حينئذ عاد إلى البيت حالا دون إبطاء لأنه خاف إن هو تأخر قليلا أن يلقى اللصوص في الطريق.

قال هانس الصغير لنفسه وهو ذاهب للفراش (حقا لقد كان يوماً مزعجاً متعباً، وعلى كل فأنا مسرور لأني لم أرفض طلب الطحان وهو أخلص صديق إلي، وعدا ذلك فهو سيعطيني عربته)

وفي صباح اليوم الثاني نزل الطحان مبكراً ليأخذ زهوره، ولكن هانس الصغير كان لا يزال في فراشه من أثر تعبه.

الطحان ـ قبل كل شيء انك كسول جداً والكسل خطيئة عظيمة، وأنا لا أحب أن يكون أحد أصدقائي كسولا بليداً. لا ينبغي أن تتأثر من صراحتي، تأكد إني ما كنت لأرميك بهذه الكلمات الجارحة لو لم اكن صديقك، كل شخص يستطيع أن يقول كلاماً ليناً ويذكر

أموراً مبهجة ويصانع ويخادع ولكن الصديق الصدوق يقول دائماً أقوالا لا تسر ولا يهمه أن هو آلم صديقه .

قال هانس وهو يفرك عينيه ويرفع عنه اللحاف ـ أنا متأسف جداً لقد بلغ من تعبي إن زعمت إني أستطيع البقاء في الفراش ولو قليلاً، والإصغاء إلى غناء الطيور . هل تعلم إني حين أصغي إلى الطيور اشتغل بنشاط عظيم؟

قال الطحان وهو يربت على ظهر هانس الصغير ـ أنا مسرور من ذلك، لأني أريدك أن تأتي إلى الطاحونة حالما ترتدي ثيابك وتصلح لي سقف مخزن الحاصلات . مسكين هانس الصغير! لقد كان في نيته أن يذهب ويشتغل في حديقته لأن أزهاره لم تسق منذ يومين، وهو في نفس الوقت لا يحب أن يرفض طلب الطحان صديقه الصدوق، قال هانس بصوت المتهيب الخجل ـ هل تظن إني أكون مذنباً إذا اعتذرت لك بقولي : أني مشغول .

أجاب الطحان ـ ما أظن إني طلبت منك أمراً خطيراً ثم اذكر إني سأعطيك عربتي وطبعاً إذا رفضت فأنا سـأذهب بنفسي وأصلح السقف.

صاح هـانس ـ آه لـيس مـن الضـروري. . وقفـز مـن الفراش وارتدى ثيابه وصعد إلى مخـزن الحاصـلات حيـث اشتغل هناك طيلة النهار حتى إذا غربت الشمس جاء إليـه الطحان ليرى ما الذي صنع.

صاح الطحان بصوت رقيق هل رتقت خرق السقف يا هانس الصغير؟

أجاب هانس ـ تماماً ونزل عن السلم

الطحان ـ آه لا يوجد عمل ألذ من العمل الذي يقوم به المرء للغير.

قال هانس وهو يمسح جبينها ـ بالتأكيـد، إنهـا لفائـدة عظمى أن أسمعك تتكلم، فائدة عظمى، ولكـني أخشـى أن لا يقدر لي أن أحمل مثل هذه الأفكار التي تحملها

الطحان ـ إنها ستأتيك ولكن بعد عذاب أعظم. عندك الآن تطبيقات في الصداقة وبعد أيام ستعرف نظرياتها أيضاً

هانس ـ سأعرف حقيقة نظريات الصداقة؟

الطحان ـ أنا لا أشك في ذلك، ولكن الأحسن الآن وقد أصلحت السقف أن تذهب إلى البيت وتستريح لأني أريدك منك غداً أن تسوق غنمي إلى الجبل. مسكين هانس لقد خشي أن يجيب بشيء، وفي صباح اليوم التالي أحضر الطحان غنمه إلى الكوخ فسار بها هانس إلى الجبل وقد كلفه أخذها والعودة بها يوماً كاملاً، وحين عاد كان منهوك القوى فنام على مقعد ولم يستيقظ حتى ساعة متأخرة.

قال ـ سأتمتع بيوم مبهج في حديقتي وذهب في الحال ليشتغل لكن لم يستطيع أبداً أن يرعى زهوره لأن صديقه الطحان كان يأتيه دائماً ويرسله في مهمات طويلة أو يحضره ليساعده في المطحنة.

ومع الأيام كان هانس الصغير يزداد حزناً على زهوره، ولكنه كان يعزى نفسه بأن الطحان صديقه الصدوق.

وهكذا كان هانس يشتغل للطحان، وكان الطحان يذكر له كل الأقوال الجميلة عن الصداقة فكان ينقلها إلى دفتره ويراجعها في المساء شأن التلميذ المجتهد

وقد حدث في مساء أحد الأيام وقد كان هانس الصغير جالساً إلى جانب الموقد أن سمع صيحة شديدة عند الباب، وكان ليلة مزعجة الريح تصفر فيها وتزمجر حول البيت، فظن هانس أن الصوت صوت العاصفة ولكن حين أعقب الصرخة الأولى ثانية فثالثة قال هانس لنفسه! إنه مسافر مسكين، وجرى نحو الباب فإذا بالطحان يحمل فانوساً بإحدى يديه وعصا ضخمة بالأخرى.

صاح الطحان ـ عزيزي هانس الصغير، إنني في قلق عظيم لقد، سقط ولدى الصغير من أعلى السلم وأنا ذاهب إلى الطبيب، ولكنه يسكن في مكان بعيد جداً. ولقد

فتقت لي هذه الليلة الرديئة فكـرة حسـنة وهـي أن تـذهب أنت بدلا عني . انك تعلم أني أريـد أن أعطيـك عـربتي ، ولذلك فأرى من العدل أن تقوم لي بخدمة مقابل ذلك .

صاح هانس الصغير ـ بالتأكيـد . إن قـدومك إلى كـرم منك وسأنطلق حالا . ولكن يجـب أن تعيرنـي مصـباحك لأن الليلة مظلمة وأخاف أن أقع في الوادي .

أجب الطحان ـ إنني آسف جداً . انه مصباحي الجديـد وخسارتي تكون عظيمة إن حدث له أي حادث .

صاح هانس الصغير ـ حسناً ، لا بأس سـأذهب بدونـه وتناول معطفه الكبير وطاقيته القرمزية الدافئة ، ولف لثامـاً حول عنقه ثم سار . .

يا لها من ليلة مرعبة . . لقد بلـغ مـن حلكـة الليـل أن هانس لم يكن يرى إلا بشق النفس ، وبلغ من قـوة الـريح أنه ما كان يقف إلا بكل صـعوبة ، وعلـى كـل فقـد كـان

شجاعاً، وبعد مسير ثلاث ساعات وصل منزل الطبيب. فطرق الباب.

صاح الطبيب وهو يطل من نافذة غرفة النوم ـ من أنت؟

ـ أنا هانس الصغير يا دكتور.

ـ ماذا تريد يا هانس الصغير؟

ـ لقد سقط ابن الطحان من أعلى السلم ويرجوك أن تأتي حالا.

قال الدكتور ـ حسناً وأعد جواده وفانوسه ونزل إلى الطابق السفلي وسار في اتجاه منزل الطحان. وهانس الصغير قد دلف وراءه ولكن العاصفة أخذت تزداد قسوة وشدة، وأخذ المطر يتدفق كالسيل ولم يستطع هانس الصغير أن يرى أين يسير أو كيف يتبع الجواد، وأخيراً ضل الطريق وهام في المستنقع الممتلئ بالحفر العميقة، وهنالك غرق هانس الصغير المسكين.

وفي اليوم الثاني وجد بعض الرعاة جثته طافية في بركة كبيرة من الماء فجاءوا بها إلى الكوخ .

خرج كل الناس في جنازة هانس الصغير لأنه كان مشهوراً لدى الجميع وكان الطحان أول المؤبنين .

قال الطحان ـ وحيث إني كنت أصدق أصدقائه فمن الحق أن أتقدم الجميع ، وهكذا سار إلى صدر الحفل في معطف طويل أسود وكان بين الفينة والفينة يمسح عينيه بمنديل كبير

قال حداد حين انتهت حفلة الدفن والجميع في الفندق يشربون النبيذ المعتق ويأكلون الكعك المحلى ـ بالتأكيد أن موت هانس الصغير خسارة عظيمة للجميع .

أجاب الطحان ـ خسارة عظيمة لي بوجه التخصيص ، لماذا؟ لأني كنت أريد أن أتفضل عليه بعربتي . والآن فأني لا ادري ما الذي افعله بها ، أنها دائماً في وجهي في البيت وهي في حالة من العطل لا تساوي معها شيئاً إذا عرضت

للبيع، سوف أحتاط بعد اليوم فلا أتبرع بشيء، بالتأكيد إن المرء يضره أن يكون كريماً.

قال فأر الماء بعد تردد طويل ـ حسنا.

قال العصفور ـ حسناً. تلك نهاية القصة

سأل فأر الماء ـ ولكن ماذا حدث للطحان؟

أجاب العصفور ـ حقاً لست أعلم ولا يهمني أن أعلم

فار الماء ـ إذن فأنت بطبيعتك بعيد عن الإحساس.

العصفور ـ أخشى أن لا تكون أدركت مغزى القصة.

صاح فأر الماء ـ لم! . ماذا؟ . .

العصفور ـ لم تدرك المغزى.

فأر الماء ـ هل تريد أن تقول إن القصة لها مغزى

العصفور ـ بالتأكيد.

قال فأر الماء بلهجة الساخط ـ حسناً حقاً. . أظن أنه كان يجب أن تخبرني بذلك من قبل. . بالتأكيد كنت لا أصغي إليك وضرب الماء بذنبه، ورجع إلى جحره.

سألت البطة التي جاءت على أثر ذلـك مجدفـة ـ كيـف رأيت فأر الماء ، أن له ملاحظات بديعة .

أجاب العصفور ـ أني لأخشى أن أكون قـد أزعجتـه ، فقد قصصت عليه قصة ذات مغزى .

obeikandl.com

السهم الأعظم

كانت الحفلات في كل مكان لأن أبن الملك على أهبة الزواج، لقد انتظر عروسه، وهي أميرة روسية، عاما كاملا؛ وأخيرا جاءته مجتازة إليه المسافة الطويلة من (فنلاند) على زحافة يجرها ستة دببة، تشبه في شكلها إوزة كبيرة من الذهب، وبين أجنحة هذه الإوزة اضطجعت الأميرة الصغيرة ملتفعة ببرنس من الفرو يصل إلى قدميها، وعلى رأسها قبعة من الدمقس الفضي، وكانت في صفرة وجنتيها تشبه قصر الثلج الذي عاشت فيه، حتى أن الشعب كان كلما رآها تجتاز في عربتها شوارع المدينة يهتف معجبا: (إنها كالوردة البيضاء) ويرمي عليها الأزهار من الشرفات.

وعند باب القصر وقف الأمير ينتظر عروسه، تزين وجهه عينان عسليتان حالمتان، وشعر كالذهب المصقول،

حتى إذا رآها جثا على ركبته وقبل يدها متمتماً (كم كانت صورتك جميلة، ولكنك أجمل بكثير من صورتك) فاحمرت وجنتا الأميرة الصغيرة حياء. .

قال وصيف إلى رفيقه ـ كانت من قبل كالوردة البيضاء ـ ولكنها الآن (كالوردة الحمراء) وعم القصر السرور.

مضت ثلاثة أيام على مجيء الأميرة، وكل شخص في المملكة كان يردد خلالها (الوردة البيضاء، الوردة الحمراء، الوردة البيضاء). كما إن الملك قد أمر بمضاعفة رواتب الوصفاء والوصيفات. ولما كان الوصيف لا يأخذ راتباً لم يثر ذلك اهتمامه إلا من ناحية أن أمر الملك الذي نشر في جريدة القصر، كان بذاته شرفاً عظيما له.

وكان اجتماعا حافلا هذا الذي سار فيه العروسان ويد كل منهما في يد الآخر، تحت مظلة من القطيفة الأرجوانية الموشاة باللآلئ.

ثم كانت وليمة الدولة التي دامت خمس ساعات، وقد جلس فيها الأمير والأميرة في صدر القاعة الكبيرة، وشربا في كأس من البلور الصافي لا يشرب فيها إلا المحبون المخلصون، لأن شفاء الغدر لا تمسه حتى يأخذها القتام والتلبد.

قال الوصيف الصغير: ـ من الواضح أنهما متحابان، ذلك واضح وضوح البلور، فضاعف له الملك راتبه للمرة الثانية.

صاح رجال البلاط ـ ياله من شرف عظيم!

وبعد الوليمة كان الرقص، وكان على الأمير والأميرة أن يرقصا معا (رقصة الوردة) ووعد الملك أن يعزف بالناي، ولكنه لم يحسن العزف أبدا، ولم يجرؤ أحد أن يخبره بذلك، لأنه الملك لم يكن عارفا إلا بنغمتين اثنتين، وقد ظل حائرا أيهما يختار، مع أن الأمر أهون من ذلك إذ

ما من شخص إلا كان على استعداد لأن يصيح مهما كان عزف الملك ـ هذا هو السحر . هذا هو السحر !

وكان آخر ما في البرنامج استعراض الأسهم النارية عند منتصف الليل . ولم تكن الأميرة الصغيرة قد شاهدت انطلاق هذه الأسهم من قبل . لذلك أمر الملك صاحب الأسهم النارية الملكي أن يكون على استعداد ليلة الزفاف .

سألت العروس الأمير ـ ماذا تشبه الأسهم النارية؟

قال الملك وكان يحب دائماً على الأسئلة الموجهة إلى غيره ـ إنها تشبه شفق الصباح ، ولكنها أكثر بساطة ؛ أنا شخصيا أفضلها على النجوم ، إنها مبهجة بقدر ما يبهج عزفي على الناي ؛ من المؤكد أنك سوف ترينها .

وهكذا انصبت منصة كبيرة عند نهاية حديقة الملك ، وحالما وضع صاحب الأسهم النارية الملكي كل شيء في مكانه الخاص أخذت الأسهم النارية تكلم بعضها بعضا .

صاح صاروخ صغير ـ حقا أن العالم جميل، وأني لمغتبط لأني قد تنقلت. أن الترحال يروح القلب، ويريض العقل، ويمحو ما كمن في النفس من تعصب.

قالت شمعة رومانية كبيرة ـ أن حديقة الملك ليست العالم أيها الصاروخ الغبي. . العالم مكان واسع جدا، ولتشاهده تماما تحتاج إلى ثلاثة أيام بطولها.

هتف دولاب كثير التفكير قد ثبت إلى صندوق قديم ـ أي مكان تحبه فهو العالم عندك ـ ولكن الحب لم يعد رائجا في هذه الأيام، لقد قتله الشعراء الذين تكلموا عنه كثيرا حتى لم يعد يصدقهم أحد. . المحب المخلص يتألم في صمت. . وأني لأذكر أيام ألـ. . ولكن ليس من الضروري الآن. . الحب شيء جميل عرفه القدماء. .

قالت الشمعة الرومانية ـ كلام هراء! الحب لا يموت أبدا، إنه كالقمر، وسيعيش إلى الأبد. أضرب لك مثلا: العروسان، أنهما متحابان كل الحب، لقد علمت هذا

الصباح كل شيء عنهما من ورقة سمراء حدث أن كانت في نفس الدرج الذي كنت فيه : وهي تعرف آخر أخبار البلاط .

ولكن الدولاب القديم هز رأسه وتمتم ـ مات الحب، مات الحب، مات الحب؛ ؛ . لقد كان من هؤلاء الذين يظنون أنك إذا أعدت الشيء الواحد مرارا عديدة يصبح في النتيجة حقيقية .

وفجأة سمع سعال خشن رنان، فالتفت الجميع ليعرفوا مصدره فإذا به آت من سهم طويل له منظر المتشامخ قد ربط إلى نهاية عصا طويلة، وكان من عادته أن يسعل قبل أن يبدي أية ملحوظة، وذلك ليسترعي الأسماع .

قال ـ أهيم أهيم وأصغى الجميع إلى الدولاب المسكين الذي ظل يهز رأسه ـ متمتما (مات الحب) . صاحت مفرقعة ـ النظام . . النظام .) لقد كانت سياسية من بعض النواحي وكان لها دائما عمل معلوم في الانتخابات

المحلية، لذلك عرفت كيف تستعمل التعابير البرلمانية الخاصة.

قال الدولاب في خفوت ـ مات الحب ثم أخذه النوم.

ولما عم الصمت، وانتشرت السكينة، سعل السهم للمرة الثالثة وأنشأ يتكلم، لقد تكلم بصوت هادئ جداً وواضح جداً كما لو كان يملي أفكاره إملاء. وكان ينظر دائما إلى أعلى أكتاف الشخص الذي يخاطبه؛ وفي الواقع كان أسلوبه رائعا. .

قال ـ من حسن حظ أبن الملك أنه سيتزوج في نفس اليوم الذي سأنطلق فيه! حقيقة رُب صدفة خير من ميعاد؛ ولكن الأمراء موفقون دائما.

قال الصاروخ الصغير ـ يا عزيزي أظن الأمر على العكس تماما، فأننا سوف ننطلق على شرف الأمير.

أجاب ـ قد يكون ذلك صحيحا بالنسبة إليك. بل أني لا أشك فيه، ولكن الأمر معي يختلف جداً. . أنني سهم

عريق في المجد . . وقد تحدرت من أبـوين نبـيلين، كانـت أمي أعظم (عجلة) في عصرها، وكانت مشهورة برقصـها البديع، وقد عاشت معللة بأحسن البارود، وكان والـدي شبيها بي، ومن أصل فرنسي، إذا أنطلق ارتفع جداً حتـى كان الناس يخشون أن لا يعود إليهم . . ولكنه كان يعود، وكثيراً ما كتبت الصـحف عـن أعمالـه بعبـارات الإطـراء والإعجاب . وفي الحق أن جريدة الـبلاط قـد لقبتـه ببطـل (الأسلم النارية) . قـال الضـوء البنغـالي ـ تريـد أن تقـول (الأسهم النارية . . الأسهم النارية . . !)

أجاب السهم بلهجة خشنة ـ حسن، لقد قلت الأسهم النارية، ثم استمر في حديثه . . لقد كنـت أقـول . . لقـد كنت أقول . . ماذا كنت أقول!؟

أجابت الشمعة الرومانية ـ كنت تتحدث عن نفسك

ـ طبعاً أنا أعلم بأني كنت أبحـث في موضـوعات طليـة حينما قوطعت بكل وقاحة . . أنا أمقت الوقاحة والرديء

من الصفات، لأنني حساس بأوسع معاني هذه الكلمة. . ما أظن أن في العالم من هو أقوى شعوراً مني. . أنني متأكد تماماً من ذلك.

قالت المفرقعة للشمعة الرومانية ـ من هو الشخص الحساس!؟

أجابت الشمعة الرومانية في همس لا يكاد يسمع ـ هو الذي يطأ دائما أصابع أقدام الآخرين.

فانفجرت المفرقعة عن هدير من الضحك.

السهم محنقاً ـ أرجوك، علام تضحكين! أنا لست أضحك أجابت المفرقعة ـ أنني أضحك لأنني مسرورة.

قال السهم غضبان ـ أنه لعذر أقبح من ذنب. يدل على أنانيتك المفرطة، قولي ما الذي يجيز لك أن تكوني مسرورة. . يجب أن تفكري في الغير، بمعنى أنك يجب أن تفكري في: أنني أفكر دائما في نفسي، وأني لأتوقع من كل شخص أن يفعل فعلي، ذلك ما يسمونه (الأثرة)

وأنها لنعم الفضيلة، لنفترض على سبيل المثال، أنه قد حدث لي مكروه الليلة فكيف يكون حال كل واحد؟

الأمير والأميرة لن يسرا بعد ذلك، وستنقلب حياتهما الزوجية رأساً على عقب، وكذلك الملك فأن اضطرابه سيكون عظيما أيضاً. حقيقة أني لا أكاد أبدأ في تصوير خطر مركزي حتى تغلبني الدموع

فصاحت الشمعة الرومانية ـ أرى الأفضل لك إذا كنت تحب الخير للغير أن تبقى جافاً.

وهتف الضوء البنغالي ـ بالتأكيد، هذا ما يقضى به الشعور العادي. .

قال السهم في استهزاء ـ الشعور العادي. . حقاً لقد نسيتم بأني غير عادي، وأني عظيم جداً. . لماذا. كل شخص يمكن أن يكون ذا شعور عادي ولكن يكون محروم الخيال، أما أنا فخيالي لأني لا أنظر إلى الأشياء كما هي أبداً. . أني أفكر فيها من ناحية بعيدة عن الحقيقة. حقاً لا

يوجد بينكم من يحمل قلباً . . أنكم تضحكون وتلهون كأن الأمير والأميرة لم يقترنا الساعة .

هتف منطاد ناري صغير ـ حسن حقاً . . ولماذا لا نضحك ولا نلهو . . إنها خير فرصة نغتنمها للسرور، لقد صممت أن أخبر النجوم عن ليلتنا، حين احلق في الهواء . . وسوف تراها تتلألأ حين أحدثها عن العروس الجميلة . .

قال السهم ـ آه ياله من رأي سخيف . . ولكن هذا ما كنت انتظره . . لا شيء فيك، أنك منتفخ فارغ . . لماذا . قد يذهب الأمير والأميرة ليعيشا في بلاد يجري فيها نهر كبير . . وقد ينجبان ولداً وحيدا ذا شعر جميل وعينين عسليتين كعيني الأمير، وقد يخرج في أحد الأيام يسير مع وصيفته، وقد تذهب الوصيفة لتنام تحت الشجرة الكبيرة الضخمة، وقد يسقط الولد الصغير في النهر العميق

ويغرق، أن من المصائب الهائلة، أيها الناس المساكين أن يفقد الأمير والأميرة ولدهما الوحيد.

قالت الشمعة الرومانية ـ ولكنهما لم يفقدا ولدهما الوحيد ولم يحدث لهما مكروه.

أجاب السهم ـ أنا لم أقل أنه قد حدث ذلك لهما، بل قلت أنه قد يحدث لو أنهما فقدا حقيقة لما كان من ضرورة للبحث في الموضوع، أنني أكره الذين يبكون على الحليب المراق، ولكن حين أفكر أنهما قد يفقدان ولدهما الوحيد أشعر بألم عظيم.

صاح الضوء البنغالي ـ حقيقة تشعر بألم عظيم بمعنى أنك أرق شخص عرفته في حياتي.

قال السهم ـ إنك أغلظ شخص عرفته في حياتي. وإنك لا تستطيع أن تفهم صداقتي للأمير.

فزمجرت الشمعة الرومانية قائلة ـ ماذا؟ أنت لا تعرفه معرفة مجردة

أجاب السهم ـ أنا لم أقل أبداً بـأنني أعرفـه . . وأنـي أعلن بكل جرأة بأني إذا عرفته سوف لا أكون صديقا ؛ إنه لأمر جد خطير أن يعرف المرء صديقه ؛ قال المنطاد النـاري ـ حقاً أن من الأفضل لك أن تظل جافـاً ، هـذا هـو الأمـر المهم .

أجاب السهم ـ مهم جداً بالنسبة إليك ـ أنا لا أشـك في ذلك ، أما أنا فسأبكي حين أشاء ؛ وبالفعـل تفجـرت منـه دموع حقيقة ، جرت على عصـاه كـنقط المطـر . فأغرقـت خنفستين صغيرتين في اللحظة التي كانتـا فيهـا تفكـران في بناء بيت لهما وتفتشان عن بقعة جيدة جافة تعيشان فيهـا . قال الدولاب ـ يجب أن يكون ذا طبيعة خيالية حقيقية لأنـه يبكي من دون أن يكون هنالك موجـب للبكـاء أصـلا . . ثم صعد زفرة عميقة :

عندئذ طلع القمر أشبه شيء بدرع فضي عجيب؛ وأخذت النجوم تتلألأ؛ وأصوات الموسيقى تتعالى من القصر.

كان الأمير والأميرة يرأسان الرقص؛ ولقد بلغ من جمال رقصهما أن السوسن الأبيض الطويل أطل من النافذة يتفرج، والخشخاش الأحمر العظيم مد رأسه يمتع ناظريه ويتسلى.

ثم دقت الساعة العاشرة فالحادية عشرة، فالثانية عشرة، وعند منتصف الليل خرج كل شخص إلى الشرفة الواسعة ثم أرسل الملك في طلب صاحب الأسهم النارية الملكي.

قال الملك له ـ أطلق أسهمك النارية.

فانحنى الرجل إلى الأرض وسار إلى نهاية الحديقة وبرفقته ستة معاونين قد حمل كل منهم مشعلا مضيئا معلقا في رأس عمود طويل.

لقد كان استعراضا، بديعا موفقا فقد نجحت كل الأسهم إلا السهم الأعظم فقد كان مبتلا بالبكاء لدرجة أنه لم يتمكن من الانطلاق أبدا؛ كان خير ما فيه البارود، وهذا تشبع بالدموع حتى أصبح بلا فائدة.

قال السهم ـ يغلب على ظني أنهم احتفظوا بي لأمر خطير وبدا أكثر تعجرفا من قبل.

جاء العمال في اليوم الثاني ليعيدوا كل شيء إلى مكانه.

قال السهم ـ هؤلاء على ما يظهر ـ هم الوفد، وأني سأقابلهم بما يجب من العنجهية، وهكذا وضع أنفه في الهواء وقطب حاجبيه كأنما يفكر في أمور خطيرة؛ ولكنهم لم ينتبهوا إليه إلا في اللحظة التي هموا فيها بمغادرة المكان؛ عندئذ رآه أحدهم فصاح ياله من سهم رديء ورمى به إلى الخندق من أعلى الحائط.

قال وهو يتقلب في الهواء ـ سهم رديء سهم رديء! مستحيل . . سهم عظيم . هذا ما قاله الرجل . . رديء وعظيم لهما وقع واحد في الأذن، وحقيقة أنهما ـ في الغالب ـ شيء واحد وسقط في الرجل . . فأبدى هذه الملحوظة :

أنه ليس بالمكان المريح . . ولكن مما لا شك فيه أنه مكان على (المودة!) وأنهم قد أرسلوني إلى هنا لاستعيد قواي؛ حقيقة أن أعصابي محطمة، وأنني في حاجة إلى الراحة .

حينئذ سبحت إليه ضفدعة صغيرة ذات عينين لامعتين وظهر أخضر أرقش .

قال الضفدعة ـ أرى قادما جديداً . . حسناً، بعد كل شيء لا يوجد مثل الوحل . . . أعطني جواً ممطرا وخندقاً فأكون جد سعيدة، هل تظن أن السماء ستمطر بعد الظهر؟ إني آمل ذلك، ولكن السماء زرقاء صافية .

قال السهم ـ أهيم أهيم وأخذ يسعل، فصاحت الضفدعة ـ إن لك صوتاً جميلاً. . أنه أشبه شيء بالنقنقة؛ والنقيق طبعاً أرق موسيقى في العالم، سوف تسمع أغاني نادينا هذا المساء، أننا نقيم في بركة البط القديمة بالقرب من بيت الفلاح، ولا يكاد يطلع القمر حتى نبدأ غناءنا، أنه يؤثر في النفس لدرجة أن كل شخص يتمدد في الفراش يقظا ليصغي ألينا، بالأمس فقط سمعت زوجة الفلاح تقول لأمها: أنه لم يغمض لها جفن طوال الليل بسببنا. أنه لما يبهج النفس أن يجد المرء نفسه مشهوراً بهذا المقدار.

قال السهم مغضباً: ـ أهيم! أهيم! ولم يزد. لقد بلغ به السخط مبلغا عقد لسانه.

الضفدعة مستمرة ـ حقاً أنه لصوت جميل. . آمل أنك ستأتي إلى بركة البط. . أنا ذاهبة أفتش عن أخواتي. . إن لي ست أخوات جميلات، وأني لأخشى أن يصادفهن (الكركي)، أنه وحش كاسر وسوف لا يتردد في أن يتغذى

بهن . . وداعا . . أنني جد مسرورة من محادثتنا ، وأظنك كذلك .

قال السهم ـ محادثة . . حقا . . لقد احتكرت الحديث كل الوقت ، أن ذلك ليس بمحادثة .

أجابت الضفدعة ـ واحد يجب أن يصغي . . وأنا أحب أن أستقل بالحديث . . أن في ذلك اقتصاداً في الوقت وحيلولة دون الجدل .

قال السهم ـ ولكني أحب الجدل .

قالت الضفدعة بأدب ـ ما أظن ذلك . . الجدل دليل الوحشية ، لأن كل أعضاء الهيئة الاجتماعية الراقية يحملون أفكاراً واحدة . وداعا للمرة الثانية . . أني أرى أخواتي من بعيد ، وسبحت الضفدعة الصغيرة مبتعدة .

قال السهم ـ أنت جد مزعجة : وجد جاهلة ، أني أمقت الذين يتحدثون عن أنفسهم ـ كما تفعلين ـ حين يود أحدهم أن يتحدث عن أحد الأشخاص ـ كما أفعل أنا ـ

وهذا ما أسميه أنانية؛ والأنانية أمر لا يطاق: خصوصا على من كان في مزاجي، لأنني معروف بحسن العطف على الغير؛ كان عليك أن تعتبري بي؛ أنك لن تجدي أنموذجا أفضل مني؛ والآن وقد حصل لك شرف التعرف إلى، يجد بك أن تغتنمي الفرصة لأنني عائد إلى البلاط حالا؛ أنني محبوب جدا في البلاط؛ وقد اقترن الأمير والأميرة على شرفي؛ أنت طبعاً لا تفقهين شيئا من هذه الأمور لأنك قروية.

قال يعسوب كان جالسا على ورقة كبيرة سمراء من ورق البردي: لا فائدة من مخاطبتها؛ لا فائدة أبداً. . لأنها قد ذهبت. . أجاب السهم ـ حسنا، إن في ذهابها خسارة لها لا لي: أنا لا أقف عن محادثتها لمجرد إنها غير مصغية إليَّ. . أني أحب أن أسمع نفسي أتكلم دائماً. وهذا من أبهج المسرات عندي، كثيرا ما تراني أحدث

نفسي أحاديث طويلة دون أن أفقه كلمة واحدة مما أقوله. وهذا دليل الذكاء المفرط. . !

قال اليعسوب ـ أذن تكون محاضرا في الفلسفة في مثل هذه الحال، ونشر جناحيه الجميلين الرقيقين وحلق في السماء.

قال السهم ـ إنها لسخافة منه إلا يمكث هنا؛ أنا أعتقد إنها فرصة ثمينة له قل أن يقع على مثلها؛ تفيده إضاءة في عقله؛ وعلى كل فهذا لا يهمني، من المؤكد أنه لا بد وأن يعرف الناس يوما ما قدر العبقري الذي يكون مثلي. وغاض قليلا في الوحل. .

وبعد قليل جاءت تتهادى إليه بطة كبيرة بيضاء، ذات سيقان صفراء، وأقدام غشائية.

قالت ـ كواك. كواك. كواك! أن لك شكلا غريبا. هل لي أن أسألك هل ولدت على هذا الشكل أو هو شكل طارئ؟

فأجاب السهم ـ من الواضح أنك أنفقت عمرك في الريف، وإلا لعرفت من أنا، وعلى كل فأنا أغفر لك جهلك، من الظلم أن تطلب من الغير أن يكون مثلك عظيما.

أنا لا أشك في أنك ستدهشين حين تعلمين بأني أستطيع أن أطير إلى السماء وأن أهبط الأرض في مظهر الغيث الذهبي.

قالت البطة ـ أنا لا أهتم كثيرا بهذا؛ لأنني لا أجد فيه أدنى فائدة لأحد الآن؛ إذا كنت تستطيع أن تحرث الحقل كالثور؛ أو تجر عربة كالجواد؛ أو تحرس الأغنام كالكلب الإسكتلندي: هذا يمكن أن يكون شيئا!

فصاح السهم في غطرسة وتعجرف ـ أرى أنك تنتمين إلى طبقة وضيعة، شخص في مركزي لا يفيد أبدا: لنا أعمال معلومة، وهذا فوق الكفاية، أنا شخصيا لا أميل

إلى نوع من الصناعات، خصوصا هذه التي نوهت لي بها، ساعة من ساعات تفكيري هي بالصناعات كلها.

قالت البطة ـ وهي بطبيعتها مسالمة، ولم تتورط في مجادلة أحد ـ حسناً. حسناً. لكل رأيه. أكبر ظني أنك ستقيم هنا، في هذا الخندق.

صاح السهم ـ أوه، كلا يا عزيزتي. لست أكثر من زائر، زائر ممتاز. حقاً لقد أضجرني هذا المكان حيث لا جمعية راقية ولا واحدة آمنة، على الأرجح أني سأعود إلى البلاط. .

قالت البطة ـ أني أفكر في دخول الحياة العامة يوماً ما. وعليَّ الآن أن أذهب إلى البيت واعتني بعائلتي.

قال السهم ـ لقد خلقت للحياة العامة، وكذلك جميع أقربائي، نثير الاهتمام حيثما وجدنا! وعلى ذكر الحياة العائلية أقول إنها تهرم الإنسان بسرعة وقبل الأوان، وتصرف العقل من الأفكار السامية.

قالت البطة ـ آه . . الأفكار السامية : ما أنفسها ، إنها تذكرني بما أشعر به من جوع ، وسبحت إلى أسفل الغدير وهي تقول : كواك . . كواك . . كواك

زعق السهم ـ أرجعي . أرجعي . عندي أشياء كثيرة أريد أن أقولها لك ولكن البطة لم تصغ أليه : قال لنفسه : أنا مسرور لأنها ذهبت ، لا ريب إنها صغيرة العقل جداً . ثم غاص في الوحل قليلاً أيضاً ، وفي الوقت الذي أبتدأ يفكر فيه بوحدة العبقري ظهر فجأة ولدان صغيران يركضان نحو الشاطئ في قمصان بيض يحملان قدراً أو أعواداً .

قال السهم ـ هؤلاء يجب أن يكونوا الوفد . وعمل على أن يظهر بمظهر العظيم .

صاح أحد الولدين ـ تعال . أنظر إلى هذا العود العتيق أني لاستغرب ما لذي جاء به إلى هنا وأخرج السهم من

الخندق قال السهم ـ عـود عتيـق، مسـتحيل؟! عـود مـن ذهب عود من ذهب، هذا أحسن أنواع المديح. .

قال الولد الآخر ـ دعنا نضـعه في النـار، أنـه سيسـاعد على غليان القدر.

وهكذا كدسا الأعـواد بعضـها علـى بعـض، ووضـعا السهم في الذروة، وأشعلا النار.

صاح السهم ـ هذا بديع! إنهم يودون إطلاقي في وضح النهار لكي يراني كل إنسان.

قال الولدان ـ أنـا نـذهب لننـام الآن، وحـين نسـتيقظ تكون القدر قد غلت؛ واضطجعا على الحشيش وأغمضـا عيونهما.

كان السهم مشبعاً بالماء، لذلك احتاج احتراقه إلى وقت طويل؛ وعلى كل حال فقد بلغته النار أخيراً.

صـاح ـ الآن سـأنطلق . . يقينـا أنـي سـأعلو علـى النجوم، سأعلو على القمر، سأعلو على الشمس، بمعنى أني سأعلو . . .

ـ ويز، ويز، ويز، وحلق في الهواء . . .

صاح : هذا مبهج! سأظل في هـذا الصـعود إلى الأبـد؛ ياله من نجاح عظيم! ولكن لم يره أحد.

ثم أخذ يحس بشعور غريب يستولي عليه فصاح : الآن سأنفجر، وسأحرق الأخضر واليابس، وسأترك دويا يظل حديث الناس أعواما طوالا، وفعلاً أنفجـر! بم! بم! بم؛ لقد خرج البارود، ولا شـك في ذلـك؛ ولكـن لم يسـمعه أحد، حتى ولا الوالدان الصغيران، لأنهما كانا يغطـان في نومهما. وهكذا لم يبق منه إلا العصا، وهذه سقطت على ظهر إوزة خرجت تتنزه إلى جانب الخندق. عندئذ صاحت الإوزة ـ يا إلهي أن السـماء تمطـر عصـيا؛ وانـدفعت نحـو الماء.

لهث السهم ـ لقد علمت من قبل أنـني خـالق شـعوراً عظيما!

obeikandl.com

صاحب الملايين الأنموذج

لا ينتفع المرء بجمال الشاب إلا مع الغنى؛ البطالة عمل الغني وليست شغل الفقير؛ على الفقراء أن يكدوا في طلب الرزق؛ دخل ثابت خير لك من شبابك الفاتن؛ تلك هي الحقيقة الواحدة في هذا الجيل الحديث، الحقيقة التي لم يدركها (هيوارسكين).

مسكين هيو! إنه ليس بالفتى صاحب الشأن أو الذي يضر وينفع؛ ولكنه كان يبدو مثال الملاحة بشعره الأسمر المجعد. وعينيه الرماديتين؛ ووجهه الجميل، وكان مشهوراً بالحسن بين الرجال والنساء على السواء، وبأنه يجمع كل الفضائل إلا فضيلة كسب المال؛ خلف له والده وكان فارساً مقداماً حسامه وتاريخ حرب الجزيرة في خمسة عشر مجلداً، فعلق (هيو) الحسام على مرآته، ووضع كتاب التاريخ على الرف. لقد طرق كل أبواب الرزق،

فاحترف الصرافة ستة أشهر، ولكن ما الذي تفعله الفراشة بين الثيران والدببة؟ واشتغل بتجارة الشاي لمدة أطول بقليل، ولكن سرعان ما تعب: حينئذ جرب بيع الخمر الأسباني فلم ينجح؛ وأخيراً أصبح لا شيء، اللهم إلا شاباً طروباً قد أعطى البطالة مقوده.

وعلى نية العمل المثمر أحب؛ وكانت الفتاة التي أحبها تدعى (لورا ميرتون) وهي ابنة كولونيل متقاعد أضاع مزاجه ونظامه في بلاد الهند. لقد عبدته (لورا) وكان هو على استعداد لأن يقبل شريط حذائها؛ كانا أظرف عاشقين في لندن ولا يملكان فلساً واحداً.

أحب الكولونيل (هيو) كثيراً، ولكنه لم يكن يرغب أن يسمعه يتحدث عن أية خطبة، وكان يقول له من حين إلى حين: (تعال إليّ يا ولدي؛ حين تصبح مالكاً لعشرة آلاف جنيه عندها نفكر في أمر خطوبتكما) فيتألم (هيو) ويذهب إلى (لورا) ليجد بقربها العزاء.

في صباح أحد الأيام خطر له ـ وهو في طريقه إلى متنزه (هولاندة) ـ أن يرى أحد أصدقائه العظام (ألن تريفور) وكان (ألن تريفور) رجلاً غريباً فظاً؛ نمش الوجه أحمر الخدين خشن اللحية؛ ولكنه كان رساماً ماهراً، وفناناً إذا تناول قلم الرسم فهو الأستاذ الحقيقي والرسام العبقري.

وكان هذا الفنان عظيم الميل (لهيو) في الزمان الذي مضى، عظيم التقدير لجماله، وكثيراً ما كان يقول (على الفنان أن لا يصاحب إلا الظرفاء اللطفاء؛ والذين يشجيك مسمعهم ومنظرهم).

حين دخل (هيو) المحترف (الستديو) وجد (تريفور) يضع الأجزاء الأخيرة لصورة شحاذ كبيرة، ورأى الشحاذ نفسه واقفاً على منصة مرتفعة في زاوية المحترف، لقد كان شيخاً متهدماً ذا وجه كالجلد المجعد، قد ألقى على كتفه عباءة خشنة كلها رقع وخرق، ولبس حذاء رثاً بالياً،

واتكأ بإحدى يديه على عصا غليظة، ومد بالأخرى قبعته الممزقة يلتمس المعروف!.

همس (هيو) وهو يصافح صديقه ـ يالـه من أنموذج غريب! فصاح (تريفور) بأعلى صوته ـ أنموذج غريب. . أظنه كذلك. . إنك لا تلتقي بأمثال هذا الشحاذ كل يوم. . إنه لقية يا عزيزي.

هيو ـ مسكين هذا الشيخ إنه يبدو مثال البؤس والشقاء وإني لأظن أن ثروته بالنسبة إليكم أيها الفنانون إنما هي في وجهه

أجاب تريفور ـ طبعاً. . أنت لا تريد أن يبدو الشحاذ مسروراً

هيو ـ كم يأخذ الأنموذج عن كل جلسة.

ـ شلناً في الساعة.

ـ وكم تأخذ أنت على صورتك يا (ألن)

ـ أوه. . آخذ على هذه ألفي جنيه.

هيو ضاحكاً ـ حسن، ولكني أرى أن يأخذ الأنموذج نسبة من الأرباح، إنهم يتعبون بقدر ما تتعبون.

ـ كلام هراء. . يجب ألا تضيع وقتي بمثل هذا السخف، إنني مشغول جداً، دخن سيجارة واجلس صامتاً.

وبعد حين دخل الخادم وأخبر (تريفور) أن صانع الأطر يريد أن يكلمه.

(تريفور) وهو خارج ـ لا تذهب يا (هيو) سأعود حالاً.

اغتنم الشحاذ الشيخ فرصة غياب (تريفور) فجلس يستريح على مقعد خشبي كان موضوعاً خلفه، حقيراً بائساً؛ حتى أن (هيو) لم يملك نفسه من الحزن عليه، فمد يده إلى جيبه ليرى مقدار ما معه من الدراهم، فكان كل الذي وجده ديناراً وبضعة دوانق، فقال لنفسه (مسكين

الشيخ إنه أحوج مني إلى هذه الدراهم) وسار وسط (الستديو) ورمى الدينار في يد الشحاذ.

فزع الشيخ وارتسمت على شفتيه الذابلتين ابتسامة ضئيلة وقال: أشكرك يا سيدي. . أشكرك. .

ثم حضر (تريفور) فاستأذنه (هيو) بالانصراف إلى (لورا) حيث أمضى النهار وتمتع بتعنيف لذيذ على إسرافه.

وفي تلك الليلة؛ حوالي الساعة الثانية عشرة، ذهب إلى نادي (باليت) فوجد (تريفور) جالساً وحيداً في غرفة التدخين يعاقر بنت الحان؛ فقال له وهو يشعل سيجارته.

ـ خيراً (ألن). . هل أنهيت الصورة!

فأجاب تريفور ـ لقد انتهت يا ولدي، وأحيطت بالإطار؛ وعلى ذكر الصورة أخبرك أنك حزت ظفراً عظيماً نهار الأمس، إن ذلك الأنموذج الشيخ الذي رأيته معجب بك كل الإعجاب ولقد أخبرته عن كل ما يتعلق

بك . . من أنت؟ وأين تعيش؟ وكم دخلك! وما هي مطالبك من الدنيا؟ . . .

صاح (هيو) ـ يا عزيزي ألن، أخاف أن أجده في انتظاري كلما ذهبت إلى البيت؛ ولكنك تهزل . . مسكين هذا الشيخ الفقير .

آه! لو أقدر على نفعه . . إنه لشديد أن يعيش إنسان في مثل بؤسه؛ عندي في البيت تلال من الثياب القديمة، فهل تظن أنه يهتم بثوب منها؟ ولم لا؟ إن خرقه أخذ منها البلى مأخذه . .

تريفور ـ ولكنه يبدو في أطماره زاهياً، إن ما تسميه أنت اطماراً أسميه أنا حللاً، وما يظهر لك أنه الشقاء هو مثال البهاء عندي . . وعلى كل حال فسأخبره عن هديتك .

هيو جاداً ـ إنكم بلا قلب أيها الرسامون .

أجاب تريفور ـ قلب الفنان رأسه، ليس الإصلاح صنعتنا وإنما تصوير العالم كما نراه ولكل صنعته . . والآن حدثني عن (لورا) كيف هي؟ لقد أغرم بها الأنموذج كثيراً .

هيو ـ أنت لا تريد أن تقول إنك حدثته عنها .

ـ أؤكد لك أنني حدثته، لقد عرف كل شيء عن الكولونيل الذي لا يرق له قلب، وعن (لورا) المحبوبة؛ وعن العشرة آلاف جنيه .

فصاح هيو وقد بدا عظيم الغضب كثير الاحمرار ـ إذن لقد أطلعت ذلك الشيخ الشحاذ على كل شؤوني الخاصة .

تريفور مبتسماً ـ يا ولدي العزيز إن الذي تدعوه بالشيخ الشحاذ هو من أغنى الرجال في أوربا، إنه يقدر أن يبتاع لندن كلها غداً من غير أن يؤثر ذلك في ثروته؛ إن له قصراً في كل عاصمة؛ ويأكل في أطباق من الذهب

والفضة؛ وهو قادر ـ حين يشاء ـ أن يمنع روسيا من الحرب.

هيو متعجباً ـ من هذا الذي تعنيه؟! . .

تريفور ـ أقول إن الرجل الشيخ الذي رأيته في (الستديو) هو (البارون هوسبيرج) إنه من أعظم أصدقائي، ويبتاع كل صوري، وقد كلفني منذ شهر أن أرسمه كشحاذ فما قولك بهوي هذا المليونير.

صاح هيو ـ البارون هوسبيرج يا إله السموات. لقد تصدقت عليه بجنيه. . . وارتمى على المقعد مذعوراً. .

تريفور صائحاً ـ تصدقت عليه بجنيه!! وانفجر عن هدير من الضحك!

هيو بحزن ـ كان يجب أن تخبرني يا ألن. . .

ألن ـ لا بأس يا هيو. . إنه لم يخطر لي على بال أنك يمكن أن تذهب هذا المذهب في توزيع الصدقات؛ إنني

افهم تقبيلك لأنموذج جميل، أما أن تعطي ديناراً لقبيح فلست أفهمه!

هيو ـ وأي غبي ظنني؟!.

ـ أبداً لقد كان في غاية السرور بعد أن غادرتنا، وظل يضحك في سره ويصفق بيديه المتغضنين مدة؛ لم أستطع إدراك سر سروره حينذاك؛ ورغبته في معرفة كل شيء عنك؛ أما الآن فقد فهمت كل شيء؛ سوف يشغل لك دينارك يا هيو ويدفع لك الفائدة كل ستة أشهر.

زمجر هيو ـ يا لي من شقي. الأحسن لي أن أذهب إلى الفراش، أرجوك يا عزيزي ألن ألا تخبر أحداً؛ إنني لم أعد أجرؤ على لقاء الناس

كلام هراء. إن عملك يا هيو يدل على ما في نفسك من الخير العظيم، لا تذهب، خذ سيجارة أخرى؛ وتكلم عن لورا بقدر ما تشاء. .

لكن (هيو) لم يقف بل سار إلى البيت حزيناً، تاركاً (ألن تريفور) غارقاً في الضحك.

في صباح اليوم الثاني وقد جلس (هيو) يتناول فطوره، أحضر له الخادم بطاقة كتب عليها (السيد كوستاف نودن، رسول البارون هاسبورج).

فقال هيو لنفسه ـ يغلب على ظني أنه آت يطلب إلى أن أعتذر، ثم أمر الخادم أن يصعده ردهة الاستقبال. .

دخل الغرفة شيخ جليل ذو منظار ذهبي وشعر أشيب وقال بلهجة فرنسية: هل لي شرف الكلام مع السيد (أورسكين).

ـ فانحنى له هيو.

الشيخ مستمراً ـ لقد أتيت من عند البارون هاسبيرج، ان البارون. . . .

هيو مقاطعاً ـ أرجوك يا سيدي أن تبلغه أصدق اعتذاري.

فابتسم الشيخ الجليل وقال ـ لقد أرسلني البارون أسلمك هذا الكتاب. ومد يده بمغلف مغلق قد كتب عليه (هدية عرس إلى هيو أورسكين ولورا ميرتون من شحاذ عجوز) وفي داخله حوالة بعشرة آلاف جنيه

وحين اقترنا صار لهما ألن تريفور عجاهنا، وألقى البارون خطاباً على مائدة العرس؛

وأبدى (ألن) هذه الملحوظة (إن نماذج صاحب الملايين نادرة، ولكن أنموذج أصحاب الملايين أندر).

obeikandl.com

الأمير السعيد

يقوم تمثال الأمير السعيد على عمود باسق يشرف على المدينة، وقد كست التمثال لفائف من صفائح الذهب الخالص، وجعل له من الياقوت الأزرق عينان، وأمسك بسيف في قبضته ياقوتة حمراء. وكان هذا التمثال موضع الإعجاب والفخار من الناس أجمعين، فينظر إليه عضو من أعضاء المجلس البلدي فيتحدث عنه ويتكلف الوصف والتشبيه حتى يقول (إنه لجميل، وله من الجمال ما لديك الرياح، وإن لم تكن ما لذلك الديك من المنفعة) وكان هذا العضو يحاول ما استطاع في تشدقه بالحديث أن يمتاز بما للفنانين من بديع الذوق، وما للعمليين من صدق النظر، .

وتمر بالتمثال إحدى العاملات وبيدها طفلها يبكي لأنها لم تستطع أن تجتذب إليه القمر، وتقول له مفتخرة

بالأمير السعيد (لم لا تكون يا بني كهذا الأمير، وما أحسبه بكي في حياته من حاجته لشيء؟)

وينظر إلى التمثال رجل قد شاع في نفسه اليأس ويقول (كم يسرني أن أرى على الأرض رجلاً قد حاز السعادة كاملة).

ويطوف بالتمثال أطفال المبرة وهم منصرفون من الكنيسة في أرديتهم القرمزية، وعباءاتهم البيضاء الناصعة فيقولون (أليس هذا التمثال شبيها بالملائكة!!) فينهرهم أستاذ الرياضة في حدة وجفاء مستنكراً هذا التشبيه (وأنى لكم هذا وأنتم لم تروا واحداً من الملائكة؟) فيجيب الأطفال (نحن لم نر الملائكة جهرة ولكنهم طافوا بنا في أحلامنا) فيعبس أستاذهم ويتولى.

في إحدى الليالي كان يطير فوق المدينة سنونو صغير، وكان رفاقه قد رحلوا إلى مصر وتقدموه بستة أسابيع وتخلف هو عنهم وقد فتن بحب مغردة تقطن شجر الغاب

الذي يكتنف النهر، وكانت أجمل بنات جنسها، لقيها في الربيع وهو يطارد يراعة كبيرة صفراء، فأعجبه خصرها الناحل، فكاشفه بحبه وابتدرها في صراحة وبيان (أتأذنين لي في حبك؟)

فأومأت إليه إيماءة خفيفة، فطار من فرط الفرح، وكانت آية حبه أن يحلق في الجو طائراً حولها يرتفع أحياناً ويسف بجناحيه أحياناً حتى يضرب بهما صفحة النهر، فيخط عليه سطوراً من فضة كانت هي تقرأ فيها التحية والإجلال، وكانت هذه تحيته طوال أشهر الصيف،

ولقد شاع حديث حبه بين أبناء جنسه، فتغامزوا عليه يتساءلون عن هذه الصلة التي توثقت بينه وبين المغردة، وهي ليست بذات مال ولها من أقربائها عدد وفير، وكان النهر غاصاً بأسراب المغردات.

ثم رحل رفاق السنونو رحلة الخريف وشعر صاحبنا بعدهم بسأم الوحدة وشاع السأم في نفسه حتى غشى حبه

لصاحبته المفردة، فبدا له ما يعيبها من صمتها، وحدثته نفسه بأنها فتاة مبتذلة، ولا سيما وقد رآها تداعب الهواء في خفة ودلال!! وهو أن وثق بما لها من طبيعة الاستقرار، فلا يتفق طبعها مع ما جبل عليه من حب الأسفار، ولن تكون له إذاً الزوجة الصالحة، وصارحها يوماً برأيه فسألها (أتظعنين معي؟) فهزت رأسها مستنكرة أن تهجر وطنها. ولقد ساءه منها إباؤها، وصاح في وجهها (أنت إذاً كنت عابثة في حبي؟ سأرحل عن ديارك إلى الأهرام!! وداعا!! وداعا!!) وطار

طوى نهاره طائراً وأدركه الليل عند المدينة، فتحسس فيها مهبطاً سوياً، وساءه أن المدينة لم تعد له العدة لهبوطه، ثم تراءى له التمثال فطاب له النزول عليه، واستهواه من المكان هواؤه العليل واتخذ له بين قدمي الأمير مقعداً. ثم دار ببصره في المكان يتبينه، وقال معجباً (ما أجمله فراشاً من ذهب) ثم طوى رأسه تحت جناحه، وما

لبث أن أحس بقطرة من الماء تسقط عليه فعجب للسماء تمطر بغير سحاب، والنجوم سافرة بغير حجاب، وما له يعجب لهذا الجو وهو في شمال أوربا أشد نكاية بالخلق وأبلغ إيذاء، ثم خطرت له المغردة وحبها لوطنها المطير وقال (إنها لمؤثرة) ثم قطرة ثانية تسقط عليه فينحى باللائمة على هذا التمثال القائم (أما فيه على طول قامته عاصم من الأمطار؟؟.) (سآوي إلى رأس مدخنة لعل فيها من المطر تقية) وهم بأن يطير فشخص ببصره إلى السماء ورأى. . . . وما أعجب ما رأى. . . . غشيت الدموع عيني الأمير السعيد، وهطل الدمع على خديه الذهبيين مدراراً، وبدا وجهه تحت سنا البدر في حلة من الجمال، أشفق السنونو من بكاء الأمير السعيد وقال له (من أنت؟) قال (أنا الأمير السعيد) قال (وما بكاؤك في هذه الساعة وقد بللتني دموعك؟) قال (كنت حياً وكان لي قلب كقلوب الناس، وما عرف الدمع إلى عيني سبيلاً، كنت

أسكن قصر (البال الخالي) وكان الحزن لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه، وكنت أمضي سحابة اليوم ألهو وألعب مع رفاقي بين الزهر والشجر، وأقضي هزيعاً من الليل أطرب وأرقص في بهوه الفسيح، وكان يحيط بالقصر حائط لم أحفل بما وراءه، وكان كل ما حولي جميلاً، طربت لهذه الحياة حتى دعتني حاشيتي بالأمير السعيد يحسبون السعادة في الطرب. إلى أن أدركني الفناء فأقاموني على هذا الشرف، أرى منه كل ما في المدينة فلا يقع بصري إلا على ما تكره الأبصار، ولا يمتد إلا ليرتد حسيراً، ولي قلب قد من الرصاص ولكن لا محيد لي عن البكاء، .)

عجب السنونو في نفسه من هذه القصة، وزاد عجبه أن القلب قد قد من الرصاص، والجسم من الذهب

قال الأمير في صوت هادئ ونغم موسيقى، : (في أقصى المدينة دار فيها البؤس، وفيها الشقاء، وفيها أم قد ألح عليها الفقر العنيف. حتى شحب وجهها، وغابت

نضارتها، واحمرت يداها من فرط ما تعانيان من وخز الإبر، وهي جالسة إلى منضدة وبين يديها ثوب من الحرير توشيه (بزهر العواطف) وتعده لأجمل وصيفات الملكة، تريد أن تزدهي به في مرقص يقام في القصر غداً. وإني لأرى الأم من نافذة الدار وأرى ولدها الصغير طريح الفراش، تضطرم في أحشائه نار الحمى، ولا عاصم له من شرها إلا شربة من عصير البرتقال، وأنى لهذه الوالدة بعصير البرتقال؟ ـ إنها تسكب في فمه ماء النهر، وهو لا يروي صداه، ولا يدفع جواه، هذه رسالتي أيها السنونو الصغير، اخلع عن قبضة سيفي هذه الياقوتة، وألقي بها بين يدي الأم البائسة، فأنا في موقفي هذا لا أستطيع حراكاً بما شدت به قدماي إلى هذا العامود).

برم السنونو بهذا الأمر واستعفى منه الأمير قائلا (إن لي في مصر من يترقب عودتي. أولئك رفاقي ترفرف أجنحتهم فوق نهر النيل يناجون أزهار اللوتس العظيمة،

وما أحسبهم الآن إلا آوين إلى مضاجعهم في مقبرة الملك العظيم، المضطجع في تابوته الموشى، وقد ضمت لفائف التيل الأصفر جسده المحنط بالتوابل والأفاويه، ويحيط بعنقه قلادة من

الكديش الأخضر الشاحب، وتمتد يداه كأوراق الشجر الذابلة،)

توسل الأمير السعيد للسنونو أن يقيم معه الليلة، وأن يبلغ رسالته إلى ذلك الطفل الصادي، وتلك الأم الحزينة، قال السنونو أنا لا أعطف على الأطفال، فقد كنت في الصيف الماضي مقيماً على النهر، وكان هناك صبيان يحصبانني بالحصى وهما ولدا الطحان، ولم يكن الحصى يصيبني لما اشتهرت به طائفتنا من خفة الحركة، وسرعة الطيران، ولكن الذي يحزنني هو ما ينطوي عليه عملهما من المهانة لنا والتحقير لشأننا)

طافت بوجه الأمير سحابة حزن أشفق منها السنونو ولان قلبه وقال: (الآن طبت نفساً بالبقاء معك هذه الليلة، وسأحمل رسالتك) وشكره الأمير، واقتلع السنونو الياقوتة من قبضة السيف وضم عليها منقاره وطار، . . . طار فوق برج الكنيسة ورأى تماثيل الملائكة قد قدت من الرخام الأبيض إذا رأيتها حسبتها لؤلؤاً منثوراً، وطاف بالقصر الملكي فرأى مرقصاً ونعيماً ونوراً، وخرجت إلى شرفة القصر غادة جميلة مستندة إلى ذراع صاحبها فأنصت إليهما فإذا الرجل يقول (ما أغرب الحب وما أشده) قالت الفتاة لاهيةً عن حديث الحب بحديث الثياب (ما أشد لهفتي على ثوبي الذي أعده لليلة المرقص! لقد كلفت الحائكة وشيه بأزهار العواطف، ولكن الحائكة كسول،) وطار فوق النهر وأبصر المصابيح تتدلى على ساريات المراكب، وطاف بحي اليهود، فرأى شيوخهم يتنازعون في البيع والشراء، ويزنون الدراهم بموازين من نحاس، وحط

على الدار الحزينة ونظر من خلال النافذة فإذا الصبي يصطلي بنار الحمى فلا يهدأ مضجعه، وإذا الأم قد احتواها التعب فقامت إلى فراشها. ونفذ السنونو إلى الغرفة وألقى بالياقوتة على المنضدة، ثم طاف يرفرف بجناحيه على الصبي. تحرك الصبي في مضجعه وقال (ما أعذب هذا النسيم العليل، لعلي واجد من المرض خلاصاً) ثم أخذته سنة مريحة.

عاد السنونو إلى الأمير السعيد، وقص عليه ما رأى وما فعل وقال (عجباً! إنني لأشعر بالدفء في هذا الجو البارد!) قال الأمير (ذلك بما وفقت إليه من فعل الخير)

وساد صمت عميق، كان السنونو فيه مطرقاً مفكراً وهو إذا فكر نام!! ولما انبثق الفجر طار إلى النهر واغتسل بمائه فأبصره أستاذ علم الطير، وراعه أن يرى السنونو في فصل الشتاء، وعد هذا من خوارق الطبيعة، فحرر مقالاً طويلاً نشره في الصحيفة المحلية وقرأه الناس جميعاً ولم

يفهموا منه شيئاً لأنه وحشاه بألفاظ لا يفقهون لهـا معنـى .
قال السنونو وقد هزه الطرب (الليلة سأطير إلى مصر) وقام يزور آثار المدينة وأعلامها، فحـط علـى منـارة الكنيسـة، وطابت نفسه بالاستراحة عليها ثم طار، وكان حيثما طـار سمع تغريد العصافير يقول بعضها لـبعض: (مـا أعجـب هذا الطائر وما أغربه!) فلما استمتع من رحلته وطلع البدر خف إلى الأمير السعيد وقال له (هل لـديك رسـالة أحملـها إلى مصر، فأنا ميممها الساعة)

قال الأمير السعيد (أيها السـنونو الصـغير هـل لـك أن تبقى معي الليلة؟) قال السنونو (إن لي بمصر رفاقاً يترقبون عودتي. ومـا أحسـبهم في الغـداة إلا طـائرين إلى الشـلال الثاني ينعمون بطلعـة فـرس النهـر مضـطجعاً بـين أوراق البردي ويسعدون بلقيا الإله ممنون جالساً على عـرش مـن الجرانيت يناجي النجم طيلة الليل، حتى إذا أقبلـت نجمـة الصباح حياها بصيحة عالية ثـم لـزم الصـمت، ويرقبـون

الأسود الصفراء ذات العيون الخضراء تنساب إلى الشاطئ وتستسقي ثم تزأر زأرة تذوب في صداها زأرة الشلال،)

قال الأمير (أيها السنونو الصغير! في أقصى المدينة رجل يقيم غرفة وقد أكب على أوراق بين يديه، وأمامه باقة من زهر البنفسج الذابل، وله شعر مجعد، وشفتاه كحب الرمان، وعيناه ناعستان، أراه جاداً في نسج قصة تمثيلية يعدها لمدير المرسح وقد ألح عليه البرد والفقر فما يستطيع منهما خلاصاً، وما يستطيع معها التحرير،)

قال السنونو وقد رق قلبه (إني مقيم معك الليلة، فهل أنت مرسلي إليه بياقوتة أخرى؟) قال الأمير (لقد نفد الياقوت الأحمر، وما أملك إلا عيني، وهما من الجوهر الأزرق النادر، جلبت حبتاهما من ألف سنة من بلاد الهند، فاقتلع واحدة منهما وخذها إلى الرجل يبيعها للجوهري ويشتري طعاماً وناراً فيقوى على إتمام قصته) قال السنونو (أيها الأمير السعيد، لا قبل لي بما كلفتني،

وما أستطيع على بعض هذا صبراً) وذرفت عيناه. قال الأمير (افعل ما أمرتك به) وفعل، وطار إلى القصصي فنفذ إلى غرفته من ثغرة في سقفها، وكان الرجل قد أسند رأسه إلى يديه فصمت أذناه، ولم يسمع حفيف أجنحة السنونو، ثم رفع رأسه وبهره بريق الجوهرة الزرقاء وسط باقة البنفسج الذابل، فأفتر ثغره عن ابتسامة فيها الزهور وفيها الإعجاب وقال: (لقد آن للناس أن يحسنوا تقديري، ما أحسب هذه العطية إلا من عظيم قد أعجب بقصصي وما أحسبني الآن إلا قادراً على إتمام القصة) ثم أشرقت في نفسه السعادة.

وفي الغداة طار السنونو إلى مرفأ المدينة وجلس إلى سارية سفينة فأشرف على الحمالين وهم يجتذبون الصناديق الثقيلة وقد شدوها إلى الحبال، وألقي إليهم السمع وهم يصيحون جماعات كلما اجتذبوا صندوقاً فصاح بهم السنونو وقال (أنا طائر إلى مصر) فلم يحفل به

أحد، ثم طار في ضوء القمر إلى الأمير السعيد وقال (جئت الآن لأستودعك الله) قال الأمير (هل لك أن تبقى معي الليلة؟) قال (نحن في زمان الشتاء وسيشتد البرد بهذه المدينة ومالي بها بعد اليوم مقام. سأطير إلى مصر فأنعم بشمسها الحارة تنصب على رءوس النخل الأخضر، وأسعد برؤية تماسيحها، وقد اطمأنت إلى أرض رخوة واستمرأت الكسل، ودارت عيونها تبصر ما حولها، وما أحسب رفاقي إلا جادين في اتخاذ أعشاشهم في معبد بعلبك، ترقبهم أعين الحمامات الرقطاوات تتناجى بأعذب الأنغام، أيها الأمير العزيز لست بعد اليوم مقيماً، وما أنسى فضلك وجودك، وسأعود إليك في الربيع وفي فمي جوهرتان جميلتان أعوضك بهما عن الجوهرتين اللتين جدت بهما، ستكون إحداهما أشد حمرة من الورد، والأخرى أشد زرقة من البحر.).

قال الأمير (هنا في الميدان فتاة تبيع أعواد الكبريت، ولقد سقطت الأعواد من يدها وأصابها البلل فما تصلح للبيع، وستلقى الفتاة من أبيها نصباً، وإني لأرها باكية، وأراها حافية القدمين حاسرة الرأس، . . اقتلع عيني الأخرى وجد بها عليها عل أباها يعفيها من سوط عذابه) قال السنونو (أما البقاء معك هذه الليلة فنعم، وأما ما تأمرني به فلا! أتحسبني لا أعصيك في هذه فأقتلع عينك فتصبح مكفوفا!!) قال الأمير (بل لا تعص لي أمراً). . فما عصاه. . . !

وطاف فوق رأس الفتاة وأسقط الجوهرة في يدها. قالت (ما أجمل هذه الزجاجة! وسارعت إلى بيتها ضاحكة مستبشرة،) وعاد السنونو إلى الأمير وقال له (أما الآن فحق علي البقاء معك، فقد أصبحت كفيفاً ولا غنى لك عني!) قال الأمير المسكين (بل ارحل إلى مصر) قال

السنونو (ما بي إلى الرحلة حاجة، ولن أبرح مقامك) وطوى رأسه تحت جناحيه واستكن بين قدمي الأمير)

وفي الغداة جلس على كتف الأمير وأخذ يقص عليه من أنباء الدنيا عجباً، قص عليه أنباء طير مصر المعبود، وكيف وقوفه على ضفتي النيل يمسك بين منقاريه سمكاً ذهبياً، وقص عليه أنباء أبي الهول وقد عمر عمر الدنيا واتخذ الصحراء مسكناً، وأوتي علم كل شيء، وقص عليه أنباء التجار يسيرون الهوينى بجانب إبلهم وفي أيديهم مسابح من الكهرمان يذكرون عليها اسم الله ويسبحون بحمده، وقص عليه أنباء الأرقط الذي يأوي إلى سعف النخل، وله من الكهنة سدنة عشرون يطمعونه فطيراً معسولاً، وقص عليه أنباء الأقزام وما شب بينهم وبين الفراش من حرب في البحر،

وألقى إليه الأمير السمع ثم قال (أيها السنونو الصغير، في حديثك العجب، ولكني أرى في شقاء الرجال وشقاء

وفي النساء ما هو أعجب، ليس في العالم مأساة أمعن في الأسى من الشقاء) طر أيها السنونو فوق مدينتي، وائتني بأنباء ما ترى، وما لا أرى.

طاف بالمدينة فرأى دوراً منجدة، وقصوراً مشيدة. وأغنياء ينعمون وعلى أبوابهم سابلة محرمون، !

وطار إلى أزقة يغشاها الظلام فرأى أطفالاً يتضورون جوعاً، ترنو أبصارهم المتلهفة إلى الشوارع المظلمة، ورأى تحت جسر صبيين قد استلقيا على الأرض متعانقين يتقيان شر البرد، ويهمس أحدهما في أذن الآخر (ما أشد الجوع) فينهرهما حارس الليل ويقول (ما ينبغي لكما أن تقيما في هذا المكان) فيفران وقد صب عليهما عذاب عنيف من الجوع والبرد والمطر. !

وعاد السنونو إلى الأمير وحدثه بما رأى، قال الأمير (هذه لفائف الذهب فوق جسدي فانزعها عني ورقة ورقة

وهبها إلى الفقراء، فقد جبل الناس على حب الذهب، كأنهم يرون فيه السعادة.)

وقام السنونو ينزع الذهب عن الأمير ورقة بعد ورقة، حتى بدا جسمه كالح اللون شاحباً، وطاف بها على الفقراء يغدقها عليهم أرزاقاً، فتهللت وجوه الأطفال واستخفهم الطرب، فملئوا شوارع المدينة بشراً وسروراً وقالوا (لقد أوتينا طعاماً).

ثم قسا الشتاء على المدينة وصب عليها صقيعه وجليده، وتدلى الثلج من النوافذ، وخرج الناس يبتغون أرزاقهم، وقد اكتسوا الفراء، وخرج الأطفال يلعبون ويتسابقون زحفاً على الثلوج، كل هذا والسنونو تضنيه تباريح البرد، ولكنه لا يبتغي عن الأمير حولاً. يبتغي في الأرض رزقه من فتات يسترقه من حانوت الخباز، ويبتغي دفئه من تحريك جناحيه الضعيفين، ولكنه أحس أخيراً بدبيب الموت يسري في جسمه المقرور، وأحس بقواه

تضعف وتخور، حتى لم يقو على أن يطير إلا مرة واحدة يصعد بها إلى كتف الأمير، وقال (وداعاً أيها الأمير العزيز، أتسمح لي أن أقبل يدك) قال الأمير (إني لسعيد بما عزمت عليه من الرحلة إلى مصر ـ أيها السنونو الصغير ـ لقد طال مكثك معي. خذها قبلة من فمي فإني أحبك) قال (ما رحلتي إلى مصر ولكن إلى دار البقاء، وما يفزعني الموت فهو صنو النعاس، أليس هو كذلك؟) ثم طبع على فم الأمير قبلة. . . ثم رفرف بجناحيه. . . وسقط بين قدميه. . . ميتاً.

في هذه اللحظة سمعت في جوف التمثال قرقعة داويه، وكان قلبه وقد قد من الرصاص قد انشطر شطرين.

وفي الصباح مر عمدة المدينة بالميدان وحوله أعضاء المجلس البلدي فشهدوا التمثال وقد أصبح عاطلاً من حلاه، وقال العمدة (ما أقبح منظر الأمير السعيد!) قال أعضاء المجلس (حقاً ما أقبحه!) وكانوا دائماً يرددون ما

يقوله العمدة ـ ثم صعدوا إلى التمثال ليتبينوا شأنه وقال العمدة (لقد ضاعت حلاه، وسقطت عن قبضة سيفه ياقوتها الحمراء، وسقطت من عينيه جوهرتاهما الزرقاوان، وتعطل جسده عن لفائف الذهب، وهو بهذا لا يفضل الشحاذ إلا قليلاً) قال أعضاء المجلس (وهو لا يفضل الشحاذ إلا قليلاً) قال العمدة وهاكم طائراً قد مات بين قدميه، أرسلوا في المدينة إلى الطير نذيراً ألا يموت أحد في هذا المكان، وحرر كاتب المدينة إعلاناً كتب فيه (ممنوع موت الطيور هنا).

دكوا تمثال الأمير السعيد، وما بهم إليه من حاجة بعد أن زال عنه جماله، ثم صهروا معدنه، وعقد العمدة مجلساً يتشاورون فيما يستخدم فيه معدنه المصهور، .

قال العمدة: (ما أرى إلا أن تعملوا منه تمثالاً، ويكون التمثال لي) وقال كل عضو من أعضاء المجلس: (ويكون

التمثال لـي) فـدبت بينهمـا الشـحناء، ومـاج بعضـهم في بعض وما زالوا مختلفين، .

قال أحد العمال الذين يصهرون معـدن التمثـال (هـذه قطعة من الرصاص لا تذوب في النار ولا تلين) والقى بهـا على كومة القمامة، وكان على الكومة جثمان السنونو)

فلو قال الله لملائكته ائتوني باثنين من أعـز مـا لقيـتم في المدينة، وأتاه الملائكة بقلب الأمـير وجسـم الطـائر ـ لقـال لهم (صدقتم فيمـا اخـترتم ـ وسـعت جـنتي هـذا الطـائر الصغير يغرد فيها، وهذا الأمير السعيد يسبح بحمدي)

obeikandl.com

المارد الأناني

حديقة غناء، مترامية الأطراف، يكسوها العشب الأخضر الغض، ويزيد في جمالها ما يبدو فوق الحشائش هنا وهنالك من الزهور الشبيهة بالنجوم. فيها اثنتا عشرة شجرة من الخوخ، تزهر في الربيع أزهارها البهية، وفي الخريف تنوء بحمل ثمرها اليانع.

تلك الحديقة هي جنينة المارد التي اعتاد الصبية أن يلعبوا فيها بعد ظهر كل يوم إثر انتهاء وقت المدرسة. وكثر ما كان أولئك الصبية يقفون ألعابهم ليصغوا إلى أغاريد الطيور العذبة التي كانت تنبعث من بين الأغصان. ولكم كان يخاطب بعضهم بعضاً: (ما أسعدنا هنا!)

عاد المارد من زيارته لصديقه عفريت (كورنول) التي استغرقت سبع سنوات تحدث فيها إليه بما طاب له من الحديث. فلما قدم إلى قصره ورأى الأطفال يلعبون في

الحديقة انتهرهم قائلاً: (حديقتي! حديقتي! كل فرد يستطيع أن يفهم ذلك، ولن أسمح لأحد أن يلعب فيها). فلاذ الأطفال بأذيال الفرار.

وعلى أثر ذلك أحاط الحديقة بسور عال علق عليه لوحة أعلن فيها أن كل من ينتهك حرمة حديقته بدخوله إليها يحاكم. فكان بذلك مثال المارد الأناني.

لم يكن للصبية مكان يلعبون فيه. حاولوا أن يلعبوا في الطريق، ولكنها كانت مملوءة بالحجارة القاسية والتراب، فلم ترق لهم؛ فصاروا يطوفون بجدران الحديقة آسفين على تلك الأيام السعيدة التي قضوها فيها.

ورد الربيع وأخذت الأزهار تشقق عن أكمامها، والطيور تغرد على الأفنان في طول البلاد وعرضها. ولكن الشتاء ما زال ضارباً بجرانه فوق جنينة المارد الأناني. فقد أنفت الطيور أن تغرد على أشجارها والأطفال بعيدون عنها، ونسيت الأشجار أن تزهر.

نجمت زهرة من بين الأعشاب اتفاقاً، فلما رأت الإعلان أسفت لما حل بالصبية فعادت أدراجها الى بطن الأرض. ولم ينعم بتلك الجنينة في غياب الأطفال سوى الثلج والصقيع اللذين استبشرا قائلين: (هجر الربيع هذه الجنينة وسنتمتع بها طيلة السنة.)

غطى الثلج أعشابها ببساطه الأبيض، وصبغ الصقيع الأشجار بصبغة الفضة. وما لبثا أن دعوا (الريح الشمالية) لتشاطرهما الإقامة في تلك الحديقة فلبت الريح الدعوة مزملة بالفراء، وأخذت تزأر طيلة النهار فتقتلع المداخن وتطوح بها.

(هذه بقعة جميلة. فلندع البَرَد إلى زيارتنا.) وسرعان ما لبى (البرد) الدعوة فصار يقارع سطح القصر ثلاث ساعات متتاليات يومياً ثم يجري بعد تحطيم كثير من البلاط حول الجنينة مزبداً.

(لا أدري لماذا تأخر قدوم الربيع : على أين وطيد الأمل بأن الجو سيتغير) . بمثل هذا كان يتحدث المارد إلى نفسه لما طال انتظاره للربيع ولكن الربيع ظل على هجرانه وتمادى الصيف في صده .

قدم الخريف وأينع ثمر الأشجار في كل الجنائن المجاورة . لكن جنينة المارد ظلت خلواً من الثمر لأنانيته . ترقص خلال أشجارها الثلوج والأمطار ، وتعبث بها الريح الشمالية والصقيع .

استيقظ المارد صباح يوم على موسيقى عذبة ، خيل إليه من حسن وقعها في نفسه ، أنها فرقة الملك تصدح مارة بقصره . ولم تكن في الواقع سوى ألحان طائر صغير يغرد خارج نافذته ، حمله طول عهده بأغاريد الطيور في جنينته على الاعتقاد بأنها أعذب موسيقى في العالم .

وقفت الأمطار وسكنت الرياح الشمالية وأخذت النسائم تحمل إليه ريا عطرا خلال نافذته المفتوحة ، فتمتم

قائلاً: (ها هو الربيع قد قدم.) نهض من فراشه وأطل من النافذة. فماذا رأى؟ منظراً عجباً.

رأي الأطفال الذين قد تسللوا من ثغرة في الجدران جلوساً على أغصان الأشجار. كل شجرة تضم بين أغصانها طفلا. فكأنها اغتبطت بمرآهم فتفتحت أزهارها ومادت أغصانها فوق رؤوسهم، وكانت العصافير تحوم حولهم تشقشق شقشقة الفرح. وصارت الزهور تتسابق للظهور من بين الأعشاب ضاحكة. لكن الشتاء ما زال ماثلاً في أبعد نقطة من الجنينة حيث وقف طفل صغير لم يساعده قصره على تسلق أغصان الشجرة القريبة منه. فأخذ يدور حولها وهو يبكي أمر بكاء. عز على الشجرة أن تظل مغطاة بالثلج، وأن تظل الريح تصفر فوقها فأخذت أغصانها تدنو من الطفل وأفنانها تتدلى، ولكنه لم يستطع تسلقها لفرط قصره.

ملئ قلب المارد حناناً وهو ينظر إليه فثاب إليه رشده وأخذ يقول: (ما كان أشد أنانيتي!) الآن أدركت سبب تأخر الربيع. سأضع ذلك الصبي الصغير على قمة الشجرة وسأهدم السور (وستصبح حديقتي ملعباً دائماً للأطفال.)

هبط الدرج ودخل الحديقة بلطف، فلما رآه الصبية ذعروا وفروا. فعاد الشتاء إلى الجنينة. غير أن الطفل الصغير لم يفر. لان عينيه كانتا مغرورقتين بالدموع فلم يرد المارد عند قدومه.

أتاه المارد من خلفه وأمسك به برفق ثم وضعه فوق الشجرة فاستحالت إلى أزاهير جميلة، وتهافتت العصافير لتغرد عليها، فتح الطفل ذراعيه من شدة الفرح وطوق بهما عنق المارد ثم قبّله، فلما رأى الأطفال الآخرون ان المارد فقد فظاظته عادوا إلي الحديقة سراعاً وعاد معهم الربيع، فهش المارد إليهم، وخاطبهم بقوله: (هذه جنتكم

أيها الأطفال الصغار) ثم أخذ بمعوله الكبير يقوض الجدار.

ظل الأطفال يلعبون مع المارد في حديقته البديعة حتى المساء فأتوا يودعونه (ولكن أين رفيقكم الصغير الذي وضعته فوق الشجرة؟). فأجابه الأطفال: (لا نعرف. لقد ذهب) (احرصوا على مجيئه غداً). فأخبروه بأنهم لا يعرفون مسكنه وانهم لم يروه قبل ذلك اليوم، فحزن المارد حزناً شديداً لأنه أحب ذلك الطفل الذي قبّله حباً جماً.

صار الأطفال يأتون كل يوم بعد الظهر ويلعبون مع المارد، لكن الطفل المحبوب لم يُرَ ثانية، كان المارد لطيفاً معهم جميعاً ولكنه ما زال يحن الى صديقه الطفل الصغير، وكثيراً ما كان يذكره قائلاً: (ما أشد شوقي لرؤيته!)

تعاقبت السنون وشاخ المارد وضعف، فلم يقو على اللعب، ولذا كان يجلس في كرسيه يرقب الأطفال وهم يلعبون معجباً بهم وبجنينته:

(لدى زهور جميلة، ولكن لا ريب في أن هؤلاء الأطفال أجمل أنواع الزهور) أطل صباح يوم ماطر من نافذته وهو يرتدي ثيابه، فأخذ يمرس عينيه وينظر فيطيل النظر كأنما وقعت عيناه على شيء عجيب، ولقد كان عجيباً حقاً. رأى من طرف من أطراف الحديقة النائية شجرة مكتظة بالزهور، يتدلى من أغصانها الذهبية ثمرها الفضي، ورأى تحتها الطفل الذي أحبه.

هرول إلى الجنينة مسرعاً، فلما دنا من الطفل صعد الدم إلى وجهه، واحمرت عيناه غضباً، إذ رأى راحة الطفل دامية (من نجاسر أن يجرحك؟ اخبرني لكي أذبحه بسيفي الكبير.)

فأجابه الطفل (لا. هذه جراح الحب!) فاستولى على المارد خوف غريب، ثم جثا أمام الطفل قائلاً: (من أنت؟) فأجابه الطفل مبتسماً:

(سمحت لي أن ألعب مرة في جنينتك، والآن ستذهب معي الى جنينتي التي هي الفردوس)

تراكض الأطفال بعد الظهر كعادتهم فوجودا المارد الميت تحت الشجرة مكفناً بالزهور البيضاء .

obeikandl.com

المليونير النموذجي...!

إن لم يكن الإنسان ثرياً فلا جدوى من كونه فاتناً، لأن الشعر والحب من ميزات السراية وليسا شأناً من شؤون المتعطلين، وعلى الفقراء أن يكونوا رجالاً عمليين عاديين. وخير للإنسان أن يملك دخلاً ثابتاً من أن يكون ذا فتنة أخاذة.

تلكم أعظم حقائق الحياة الحديثة التي لم يفطن إليها (هوفي ارسكاين) المسكين. فلم تكن قواه الذهنية خارقة للعادة ولم تند عنه قط فكرة متألقة أو غير عادية؛ ولكنه كان مشرق الطلعة بشعره البني المجعد وعينيه الرماديتين، مما حبب فيه الرجال والنساء جميعاً، وكان يتمتع بكل وسائل الحياة إلا وسيلة كسب النقود.

ولم يخلف له أبوه سوى سيفه الذي علقه (هوفي) فوق مرآته، وكتاب تاريخ في خمسة عشر سفراً وضعه وسط

مجموعة من المجلات. ثم قنع بالعيش بمبلغ يسير منحته إياه عمة شمطاء بعد ما أخفق في كل عمل مارسه. فقد تردد على البورصة ستة أشهر، ولكن ما حيلة فراشة بين ثيران وذئاب؟ واتجر بالشاي مدة أطول، ولكنه سرعان ما عزف عن التجارة. ثم زاول بضع مهن أخرى لم يفلح فيها. وأخيراً أصبح لا شيء؛ أصبح شاباً مرحاً عقيماً ذا وجه صبوح بلا عمل. . .

ومما زاد الطين بلة أن (هوفي) كان متيماً بحب (لورا مرتون) كريمة ضابط متقاعد فقد أعصابه وخسر معدته في الهند ولم يستعدهما. وكانت (لورا) تحب (هوفي) حباً يكاد يصل إلى العبادة، وكان يسعده أن يلثم سيور حذائها، وشهدت لهما لندن بأنهما أجمل حبيبين وأوفاهما فيها لأن المال لم يعترض حبهما. وكان الضابط ولوعاً بهوفي؛ بيد أنه أبى أن يعقد خطبة ابنته له، وجرى على أن يقول له (عد إليّ يا بني عندما تملك عشرة آلاف جنيه

وسنتدبر الأمر حينذاك) فيكتئب (هوفي) ويبدو عليه الوجوم ويقصد إلى (لورا) طلباً للسلوى.

وبينما كان (هوفي) ذاهباً إلى (هولاند بارك) حيث تقطن أسرة (مرتون) ذات صباح عرّج على صديقه (آلن تريفور) الرسام. وكان (آلن) فناناً متفرداً إلا أنه كان جافاً غريب الأطوار؛ طفح النمش على وجهه وأرخى لحية حمراء شعثا؛ أما حين يمسك بالفرشاة فإنه يثبت أنه سيد فنه حقاً، وكان يجد في البحث عن أمثلة صوره بشوق وتلهف. وما جذبه إلى (هوفي) في بدء الأمر إلا إشراق وجهه، ولا غرو فكان دائماً يقول (ما على الرسام أن يعرف من الناس سوى البسطاء الوجهاء الذين تجد في النظر إليهم لذة فنية، وفي التحدث معهم راحة الذهن. فالوجهاء من الرجال والحسناوات من النساء يحكمون العالم، أو يجب أن يفعلوا ذلك على الأقل) وكلما زاد معرفة بشخصية (هوفي) زاد إعجابه بروحه المرحة الخفيفة،

وطبيعته الكريمة الطائشة، حتى فتح أبـواب مرسمـه علـى مصراعيها أمامه في كل وقت.

وعندما دخل (هوفي) وجد (تريفور) يجمّل صورة رائعة لشحاذ بالحجم الطبيعي، وكان الشحاذ نفسه واقفـاً علـى ربوة مرتفعة في زاوية من زوايا المرسم، وهو رجل عجـوز تبدو الحكمـة علـى وجهـه المتغضـن الكئيـب الـداعي إلى الشفقة. وكانت على كتفه عباءة رثة مـن قمـاش داكـن، وكان حذاؤه الغليظ قديماً مرقعـاً. واتكـأ الكهـل بإحـدى يديه على عصا غليظة بينما مدّ يده الأخرى بقبعتـه الباليـة يتكفف الناس.

وصافح (هوفي) صديقه وقال همساً (يـا لـه مـن مثـال رائع!) فصاح (تريفور) بأعلى صوته (نموذج رائع؟ أعتقـد ذلك، لأنه لا يُلتقي بأمثال هذا الشحاذ كل يوم! إنه كنز يا عزيزي)

ـ مسكين هذا الرجل! يا له من بائس! ولكني أظن أن وجهه بالنسبة إليكم معشر الرسامين هو كل ثروته؟

ـ بلا شك. إنك لا تريد الشحاذ يبدو سعيداً؛ أو تريد؟ فسأل هوفي (وكم يتقاضى النموذج مقابل هذه الجلسة؟) واقتعد مقعداً مريحاً.

ـ شلناً في الساعة.

ـ وكم تتقاضى أنت عن الصورة يا آلن؟

ـ آه! عن هذه أتقاضى ألفين.

ـ من الجنيهات.

ـ نعم يا عزيزي.

ـ فصاح (هوفي) ضاحكاً (هذا حسن! ولكن يجب أن يظفر النموذج بنسبة مئوية لأن عمله لا يقل مشقة عن عملك).

ـ كيف ذلك؟ انظر إلى مشقة توزيع الألوان والوقوف طيلة اليوم أمام منصة الرسم! كل هذا يروقك أنت يا

(هوفي) ولكني أؤكد لك أن هناك لحظات يكاد يصل فيها الفن إلى منسوب العمل اليدوي. والآن أوجز ولا تثرثر لأني جد مشغول؛ فدخن سيجارة والزم الهدوء.

وبعد فترة من الزمن دخل الخادم وأخبر (تريفور) أن صانع الإطارات يريد مقابلته. فقال (تريفور) وهو خارج (لا تجر يا (هوفي) فسأعود بعد لحظة).

وانتهز المتسول فرصة غياب (تريفور) ليستريح على مقعد خشبي وراءه، وكان يبدو عليه البؤس والشقاء حتى أشفق عليه (هوفي) فبحث في جيوبه ليعرف ما عنده من نقود، وكان كل ما وجد جنيهاً وبضعة سنتات، ثم فكر في نفسه (هذا الزميل العجوز المسكين يفتقر إليها أكثر مني) وذرع الأستوديو ونفح الشحاذ بالجنيه.

تحرك الرجل العجوز وعلت شفتيه اليابستين ابتسامة صفراء وقال (شكراً يا سيدي، شكراً).

ولما عاد (تريفور) استأذن (هـوفي) في الخـروج ووجهـه محمر لما فعل. وقضى ذلك اليوم مع لـورا، وقبـل الإيـاب إلى منزله ظفر منها ببعض التأنيب والتقريع لتبذيره.

وفي مساء ذلك اليوم بينما كان (هوفي) يتجول في نـادي (الباليت) في الساعة الحادية عشرة وجد (تريفـور) جالسـاً وحده في غرفة التدخين فقال له مشعلاً سيجارته: (أأتممت الصورة على ما يرام؟).

ـ تمت ووضعت في الإطار يـا بـني. ولـئلا أنسـى لقـد قمـت بغـزو، فـذلك النمـوذج يـدين لـك بـالإخلاص الشديد، وقد أطنبت له في الحديث عنك ـ من أنـت، ومـا هو دخلك، وما هي آمالك ـ

ـ (يا عزيزي آلن) صاح هوفي (ربما وجدته في انتظـاري عند عودتي إلى المنزل؛ ولكنك تمزح بدون شك. مسـكين هذا العجوز البائس! وددت لو اسـتطعت مسـاعدته. إنـه لشـيء مرعـب أن يصـل إنسـان مـا إلى هـذا الـدرك مـن

البؤس. أتعتقد أنه يحفل بشيء مما عندي من أكوام الملابس القديمة؟ وكيف لا! فإن أسماله كانت تتساقط قطعاً).

ـ ولكنه يبدو بديعاً في هذا النوع من الملابس. وأنا لا أرسمه بملابسه الرسمية السوداء مقابل أي ثمن؛ لأن الذي تدعوه أنت خرقاً بالية أسميه أنا خيالاً رائعاً، وما يبدو لك فقراً مدقعاً هو ما يستحق التصوير عندي. وعلى كل حال سأخبره باستعدادك لمنحه بعض الملابس.

فقال (هوفي) جاداً (آلن! أنتم معشر الرسامين لا قلب لكم).

ـ قلب الفنان رأسه، وعلاوة على ذلك لا تنس أن عملنا تصوير العالم كما نراه لا كما يجب أن يكون؛ ولكل عمله، والآن أخبرني كيف حال لورا فالنموذج العجوز أظهر اهتمامه بها.

ـ إنك لا تعني أن تقول إنك حدثته عنها؟

ـ بل فعلت بلا ريب. فهو يعرف كل شيء عن الضابط القاسي الفظ و (لورا) الحلوة والعشرة آلاف جنيه.

فصاح (هوفي) محمراً من شدة الغضب (أتخبر ذلك المتسول العجوز عن جميع شؤوني الخاصة؟).

وقال تريفور مبتسماً (يا ولدي العزيز! ذلك المتسول العجوز، كما تدعوه؛ من أثرى رجال أوربا. فهو يستطيع شراء لندن غداً دون أن يسحب أكثر من رصيده، وهو يملك قصراً في كل عاصمة، ويتناول الطعام في أطباق من ذهب، ويستطيع أن يمنع روسيا من دخول الحرب عندما يرغب في ذلك).

ـ ماذا تعني بالله عليك؟

ـ إن الرجل الذي رأيته في الأستوديو اليوم هو (بارون هوسبرج) وهو صديق حميم لم يبتاع جميع صوري، وقد أعطاني جعلاً في الشهر الماضي لأرسمه في زي شحاذ! ماذا ترجو من أهواء مليونير؟ ولكن يجب أن أعترف أنه بدا

مثالاً رائعاً في خرقه، أو في ملابسي أنا، لأن ما كان يرتديه إن هو إلا عباءة قديمة لي اقتنيتها من أسبانيا.

فصاح هوفي (بارون هوسبرج! يا الله! فقد نفحته جنيهاً!) وغاص في المقعد المريح مرتعباً فزعاً.

وانفجر تريفور في الضحك (منحته جنيهاً! لن تراه ثانية يا ولدي العزيز، فما أعماله إلا مستمدة من نقود الآخرين).

وقال هوفي عابساً (أظن أنه كان يجب أن تخبرني يا آلن، ولا تتركني أخدع نفسي إلى هذا الحد).

ـ في الحقيقة لم يتصور عقلي أنك توزع الصدقة بتلك الطريقة الطائشة. إني افهم تقبيلك نموذجاً جميلاً، ولكن إعطاءك جنيهاً لنموذج قبيح ـ لا، بالله، لا! فهذا مستحيل. وعلاوة على ذلك فالحقيقة أني أنكرت وجودي في الأستوديو لكل طارق اليوم، فعندما دخلت أنت لم

أعرف هل يحب (هوسبرج) أن يذكر اسمه، فأنت تعرف أنه لم يكن يرتدي ملابسه الرسمية.

ـ لابد أنه حسبني شيخ البلهاء في هذا البلد.

ـ لا، أبداً. فقد كان مسروراً بعد خروجك، وكان يحدث نفسه ويمسح يديه المجعدتين؛ ولم أستطع أن أستنتج سبب شغفه بمعرفة كل شيء عنك، ولكني فهمت كل شيء الآن.

ـ (إني شيطان عديم الحظ) زمجر هوفي (خير ما أستطيع عمله هو الإيواء في مخدعي. ويا عزيزي آلن يجب ألا تخبر أحداً بما حدث، فإني لا أستطيع أن أواجه المجتمع)

ـ ولم ذلك؟ إن عملك هذا لأقوى دليل على حبك لخير البشر يا هوفي. والآن خذ سيجارة أخرى وتحدث عن (لورا) بقدر ما تحب.

بيد أن (هوفي) لم يطع وذهب إلى منزله حزيناً مكتئباً، وترك (آلن تريفور) يقهقه من شدة الضحك.

وفي الصباح التالي في أثناء تناول (هوفي) طعام الإفطار حمل إليه الخادم بطاقة كتب عليها (المسيو جوستاف فودان من طرف البارون هوسبرج) فأمر الخادم بدخول الزائر ودخل الحجرة رجل عجوز بمنظار ذهبي وشعر رمادي وقال بلهجة فرنسية (هل لي شرف التحدث مع المسيو أرسكاين؟).

فانحنى هوفي.

وقال الرجل: (جئت من عند البارون هوسبرج، والبارون. . .).

تلجلج هوفي (أرجو يا سيدي أن تقدم للبارون أصدق اعتذاراتي).

فقال الرجل العجوز مبتسماً: (كلفني البارون أن أحمل إليك هذه الرسالة)، وقدم له مظروفاً مختوماً.

وكتب على خارج المظروف: (هدية زفاف لهوفي أرسكاين ولورا مرتون، من متسول عجوز)، وكان بداخله صك بمبلغ عشرة آلاف جنيه.

ولما تزوجا كان (آلن تريفور) شاهد العروس، وألقى (البارون هوسبرج) كلمة في حفلة الزفاف.

وتعجب آلن قائلاً: (إن من أندر الأمور الظفر بنموذج مليونير. ولكن أندر منه الظفر بمليونير نموذجي).

obeikandl.com

صانع الخير

كان الوقت ليلاً، فلاحت له من بعيد أسوار مدينة مخططة على شكل دائرة، فوجد خطاه نحوها. ولما دنا منها سمع في داخلها خفق أرجل طروبة، وقهقهة أفواه جذلة وأنغام وقيثارات كثيرة صادحة؛ فقرع الباب ففتح له البوابون فرأى أمامه قصراً من المرمر، أعمدته الرخامية الرائعة الجمال متوجة بأكاليل الأزهار، وفي داخله وخارجه مشاعل مضاءة من الأرز. فدخله وبعد أن أجتاز ردهات من العقيق الأبيض الخلكيدوني وأواوين من اليشم وبلغ قاعة الوليمة المستطيلة رأى على متكأ من الأرجوان شاباً مكلل الشعر بالورود، قرمزي الشفتين من أثار الخمر. فدنا منه ولمس كتفه قائلاً: (لماذا تعيش هذه المعيشة؟) فالتفت الشاب ورآه فعرفه وقال: (قد كنت

أبرص فأتيت أنت وشفيتني. فكيف أعيش غير هذه العيشة؟).

ترك القصر وخرج إلى الجادة ورأى بعد هنيهة امرأة موشاة الثياب بالنقوش تنتعل حذاء مرصعاً باللؤلؤ، ورأى شاباً مرتدياً ثوباً ذا لونين يسير في أثرها الهويناء مترقباً كأنه صياد. وكان وجه المرأة شبيهاً بوجوه الدمى الجميلة، وعينا الشاب تشتعلان لذة وتدفقان شهوة، فتأثرهما مسرعاً حتى داناهما. فلمس يدي الشاب وقال له: (لماذا تنظر إلى تلك المرأة هذه النظرات؟). فالتفت الشاب ورآه فعرفه وقال: (قد كنت فيما مضى أعمى فأرجعت إلي بصري. فإلي أي شيء لأنظر إذا لم أنظر إلى ما ترى؟).

فتركه وتبع المرأة حتى أدركها. فمس ثيابها المزركشة وقال لها: (أليس من سبيل غير سبيل الخطيئة؟). فالتفتت المرأة إليه وعرفته فضحكت وقالت: (ولكنك قد غفرت

لي ما أسلفت من خطايا مـن قبـل. وهـذا السـبيل طريـق المسرات!)

فخرج من المدينة حتـى إذا كـان في ظاهرهـا رأي شـاباً ينتحب على قارعة الطريـق فـاقترب منـه، ولمـس غـدائره المسترسلة وسأله. (لماذا تبكي؟) فرفع الشـاب طرفـه إليـه فعرفه وقال له:

(لقد كنت ميتاً، فجئت أنت فـأحييتني، فمـاذا أصـنع غير البكاء؟)

obeikandl.com

المارد الذي يحب نفسه

كان الأطفال قد اعتادوا دخول بستان المارد واللعب فيه حين يعودون من المدرسة عصر كل يوم. وكان بستاناً واسعاً، رقيق الحواشي، قد اكتست أرضه بالعشي الخضر الطري، وانتشرت في أرجاءه الأزهار الجميلة كأنها النجوم. وكانت فيه اثنتا عشرة شجرة من أشجار الخوخ التي تتفتق في الربيع عن أزهار رقيقة زاهية الألوان كأنها اللآلي، تتحول في الصيف إلى ثمار يانعة سائغة. وكانت الأطيار فيه تعتلي غصون الشجر وتغرد في عذوبة تصرف الأطفال عن ألعابهم وتستوقفهم مأخوذين، فلا يملكون أن يعبروا عن نشوتهم بغير هذا القول:

ـ ألا ما أسعدنا في هذا المكان!

غبر إن المارد عاد يوماً من زيارة أحد أصدقائه الغيلان، بعد أن لبث معه سبع سنين، أنهى في خلالها كل ما أراد أن

يحدثه به ـ فإن محادثته كانت محدودة تنتهي ولا شك ـ عاد العملاق إلى قصره فرأى الصغار يلعبون ويمرحون في البستان! فصرخ فيهم بصوت خشن غليظ قائلاً:

ـ ماذا تصنعون هنا؟

فانطلق الأطفال من فورهم هاربين! ثم استأنف المارد صراخه قائلاً:

ـ إنما هذا البستان ملكي، وذلك ما يستطيع إدراكه كل إنسان، ولست اسمح لا أحد غيري باللعب فيه أبداً:

ثم قام فصنع جداراً رفيعاً سور به بستانه، ورفع لوحة كتب عليها هذا الإعلان:

سيجزى المخالفون شر الجزاء.

فياله من مارد لا يؤثر أحداً بالحب سواه!

ولم يبق حينذاك للأطفال المساكين ملعب يرتعون فيه. لقد حاولوا أن يتخذوا لهم من الشارع ملعباً، ولكنهم زهدوا فيه حين وجدوه مليئاً بالأتربة والأشجار، وظلوا

كذلك يحومون حول الجدر الرفيعة ـ حين ينتهون من دروسهم ـ لاهجين بجمال ذلك البستان الذي وراء تلك الأسوار، وبأيام سعادتهم التي انتهت، يقولون:

ـ ألا ما كان أسعدنا هناك!

ثم قدم الربيع وانتشرت بمقدمه الأزهار والأطيار في كل ناحية على الأرض غير بستان هذا المارد اللئيم الذي لم يبرحه الشتاء. أن الأطيار لم يعنها أن تغرد فيه حين غاب عنه الأطفال؛ وإن الأشجار قد نسيت أن تورق أو تزهر. ولقد أخرجت إحدى الأزهار الجميلة مرة رأسها من بين الأعشاب فهالها أحزنها أن ترى لوحة الإعلان تمنع الصغار من غشيان البستان، وانسلت هاربة لتستأنف نومها العميق الذي كانت مستغرقة فيه. ولم يكن في العالم أحد قد استولى السرور عليه غير (الثلج) و (الجليد) اللذين قالا في نفسيهما:

إن الربيع قد نسى هذا البستان، ولذلك فإننا سنحيا هنا طول العام!

وكذلك طغى (الثلج) على الأعشاب وأسبل عليها طرف ردائه السابغ، وانتشر (الجليد) على الأشجار فكساها حلة من الفضة ازدانت بها، ثم انهما أمراً ريح الشمال أن تبقى معهما فلبت أمرهما، وجاءت ملتفة بالفراء تصفر طوال النهار خلال البستان والمداخن، فرحة بهذا المكان البهيج.

ثم انهم قرروا دعوت (البرد) فنزل وأنشأ يتحدر كل يوم ثلاث ساعات بشدة حتى يكسر بلاط القصر، فإذا تم منه هذا أمعن هرباً حول البستان يطوف بأقصى ما أوتي من سرعة! لقد كان برداً عجيباً أغبر، وكانت أنفاسه بيضاء كالثلج!

وقد جلس المارد اللئيم ذات يوم في الشباك المطل على البستان الأجرد الشاتي، وقال يحاور نفسه.

ـ ما أقدر أن أفهم سبب تأخر الشتاء حتى الآن أو ما أظن إلا إن تغيراً قد طرأ على الجو.

ولكن الشتاء لم يأت، ولا جاء بعده صيف ولا خريف، بل إن الخريف نفسه جاء وانضج الثمار في كل بستان إلا في بستان المارد الذي كلن يعرفه الخريف لئيماً لا يحب أحداً غير نفسه!

إن المارد لمضطجع ذات صباح في فراشه فسمع أنغاماً شجية تطرق أذنيه خيل إليه لعذوبتها إنها من فرقة موسيقى الملك حين كانت تجتاز الطريق، ولم تكن تلك الأنغام الشجية غير صدح طائر صغير كان يشدو على بعد من نافذته. لأنه ما سمع من أمد بعيد شدو طائر، فظن إن ما طرق أذنيه أعذب ما في العالم من ضروب الألحان!

ثم إن البرد وقف تهتانه من حوله، وريح الشمال قطعت صفيرها، وهبت على المارد من النافذة نفحة من أريج عبق جميل. فقال المارد في نفسه:

ـ ما أحسب أن الربيع قد جاء أخيراً. وقفز من فراشه، فماذا رأى!

إنه لمنظر جد جميل!

أولئك هم الأطفال الصغار، قد دخلوا البستان من خلال ثقب صغير وجدوه في أحد الجدر واعتلوا الأغصان وبقوا هناك جالسين. وقد ابتهج الشجر بمقدمهم فأورق، وماس على رؤوسهم في حب وحنان، وكانت الطير تشدو حيناً وتطير حيناً في جذل وابتهاج، والزهر يرنو إلى ذلك بسام الثغور من بين الأعشاب.

ـ إنه حقاً لمنظر بهيج!

ولكن الشتاء لما يبرح تلك الزاوية القصية التي وقف فيها أصغر الأطفال يعول طيراً، ويطوف بما حوله طوراً آخر، والشجرة المسكينة بقربه ما تزال شاتية. . إن ذلك الطفل لم يتمكن من الوصول إلى الغصن لصغره؛ وكانت

الريح الشمالية تعصف حوله، والشجرة تنحني له ما استطاعت وتدعوه قائلة:

ـ تسلق أيها الطفل الصغير. . . ولكنه لي يقدر على شيء من هذا!!

. . . وأدركت المارد عليه الشفقة حين رآه فقال:

ـ ألا ما كان أشد إيثاري لنفسي! لقد عرفت الآن سبب انقطاع الربيع من المجيء إلى هنا. . . سأذهب إلى ذلك الطفل فأضعه على الشجرة، ثم أنثنى على الجدار فاهدمه واجعل من بستاني هذا ملعباً وقفاً على الأطفال حتى الأبد. . . واشتد أسفه على ما أكن بدر منه.

ثم إن المارد نزل وفتح بابه في هدوء وسار في بستانه؛ ولكن ما أن رآه الأطفال حتى هربوا، وعاد الشتاء إلى البستان من جديد! ولكن صبياً واحداً منهم لم يهرب، ذلك هو الصغير الذي ملأت عينيه الدموع لما رأى المارد قادماً إليه.

وتسلل المارد إلى الطفل ورفعه بلطف فأجلسه على الشجرة فما كان أسرعها حين أورقت وأزهرت، وما كان أسرع الأطيار حين تساقطت عليها مغردة حائمة حول الصبي الصغير الذي كان يحولها عنه إلى عنق المارد مسروراً، ثم انحنى الطفل على المارد فقبله، فلما رأى أصحابه ذلك أمنوا المارد وعادوا وعاد معهم الربيع، فقال المارد يخاطبهم:

ـ إنه بستانكم أيها الصغار الآن. ثم تناول معولاً كبيراً فهدم به الجدر القائمة حول البستان. فكان الناس إذا مروا به في طريقهم إلى السوق في منتصف النهار رأوا المارد يلاعب الأطفال في اجمل بستان تقع العين عليه!

وظل داب الأطفال كذلك، يلعبون طوال النهار، حتى إذا أمسى المساء وخيم الليل، جاءوا إلى المارد فحيوه وانصرفوا

وقد سألهم المارد مرة عن صديقهم الصغير الـذي كـان قد رفعه على الشجرة، فأجابوه، بأنهم لم يروه من قبـل، ولا رأوه من بعد، ولا يعرفون أين يسكن. لشد مـا حـزن المارد على ذلك الطفل الصغير الذي قبله!

بقي الأطفال على هذا: يختلفون إلى البستان عصر كـل يوم بعد انتهاء دروسهم، فيلعبون مع صـديقهم المـارد. . . غير أن الطفل الصغير وحده كـان المتخلـف مـن بيـنهم أبداً. ولكم كان المارد يشتاقه ويحبه، ويتحدث عنه ويتمنى أن لو يراه.

ومضت عللا ذلك السنون تتبعها السنون، فشاخ المارد وعجز عن مشاركة صـغاره اللعـب. فكـان يجلـس علـى مقعد وثير ليتفرج علـيهم هانئـاً مغتبطـاً. وكـان يقـول في نفسه:

ـ إن في هذا البستان لكثيرا من الأزهار الجميلة. ولكـن اجمل منها في نظري هؤلاء الصغار.

وفي صباح يوم شات ـ وقد أصبح الشتاء الآن لا يفـزع المارد، وإنما هو إغفاءة قصـيرة لا يلبـث الربيـع بعـدها أن ينهض بإزهاره وتهاويله ـ في صباح ذلك اليوم، بينما كـان المارد يرتـدي ثيابـه إذ بصـر بشـيء هالـه. فكـذب نظـره وكذب نفسه. . . إنه منظر مدهش عجيب! أفي الإمكـان هذا؟ شجرة حالية بالنوار الجميل في تلك الزاويـة القصـية وتحتها طفله الصغير الذي احبه واقفاً؟

هرول المارد نازلاً يستخفه الفرح، وجاز إرجاء الحديقة مسرعاً حتى جاء إلى الطفل، وما كـاد يقـترب منـه ويـراه حتى طما غضبه واربد وجهه، وسأله قائلاً حين بصر بآثار مسمارين على يديه ومثلهما على رجليه:

ـ من ذا الذي تجـرأ فجرحـك؟ قـل مـن ذا الـذي تجـرأ عليك ففعل؟

فأجابه الطفل الصغير:

ـ كلا . . . ما هذه جروح حقيقة، إنها جروح الحب!

وهنا استولت على قلب المارد الرهبة والخشوع فخر ساجداً أمام قدمي طفله وسأله قائلاً:

ـ من أنت إذاً؟

فأجابه الطفل باسماً: أنا الصبي الذي سمحت لي مرة باللعب في بستانك هذا؛ جئت لآخذك معي إلى بستاني الذي هو الفردوس.

وحينما عاد الأطفال عصر ذلك اليوم كعادتهم، وجدوا المارد ميتاً في مكانه تحت الشجرة، وقد نثرت على جثمانه الأزهار والنور الأبيض الجميل.